الفصل الأول

طبيعة التربية الدينية الإسلامية

مقدمة

تستند المناهج الدراسية عادة إلى أسس تُبنى في ضوئها ، وتتمثل هذه الأسس في الأساس الفلسفي ، والأساس النفسي ، والأساس الاجتماعي ، ومنهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغيرها كغيره من المناهج الأخرى يستند إلى مجموعة من الأسس تتمثل في الأساس العلمي (المعرفي) ، والأساس الاجتماعي ، والأساس النفسي ، والأساس اللغوي ، وفيما يلي نتناول هذه الأسس بالدراسة :

الأساس الأول : الأساس المعرفي (طبيعة التربية الدينية الإسلامية)

يمثل الأساس المعرفي أحد الأبعاد المهمة التي تؤثر في تخطيط المنهج وتنفيذه وتقويمه ، إذ أن دراسة المعرفة من حيث طبيعة بنيتها ، ووظيفتها ، ومبادئها ، وخصائصها ، وأسلوب تنظيمها له تأثير حتمي على وجهة نظر مخطط المنهج ومنفذه والقائم على تطويره ، فعلى الأقل يجعل الجميع يستطيعون الإجابة على : ماذا يمكن أن نختار من المعرفة إلى المتعلمين؟ وكيف يمكن تقديمه؟

ودراسة طبيعة التربية الدينية الإسلامية من حيث بنيتها المعرفية ـ أي الموضوعات التي تتضمنها ، ومدى الثقة بها ، والمصادر التي تشتق منها هذه

الموضوعات ، الأساسي والفرعي منها ، وخصائصها ـ من الأمور التي ينبغي مراعاتها عند بناء وتنظيم مناهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بالعربية والناطقين بغيرها ، وعند تدريس محتويات هذه المناهج في المراحل التعليمية المختلفة ، وذلك لأن لكل مادة دراسية منطقها وطريقتها في النظر إلى الواقع والظواهر التي تعالجها ، ولكل مادة أيضا تأثير مختلف على عقول التلاميذ ، وتقدم لهم نمطا مختلفا من التدريب العقلي ، وفيما يلي بيان لمفهومها والمفاهيم المرتبطة به ، وأهميتها ، وغايتها ، ومصادرها ، ومجالاتها ، ومبادئها ، ووسائلها ، وخصائصها ، والتحديات التي تواجهها .

أولا : مفاهيم ومصطلحات

إن معالجة مفهوم التربية الدينية الإسلامية تستلزم ممن يتصدى لها أن يوفر أمورا منها : الوقوف على الدلالة اللغوية (المعجمية) لكل مفردة من مفرداته ، كما تتطلب الوقوف على الدلالة الاصطلاحية له ، وتحديد أبرز المفاهيم المرتبطة به مثل مفهومي « التربية الدينية » و« التربية الإسلامية » وهل هناك فرق بين هذه المفاهيم أم لا ؟؟ هل هناك قاسم مشترك بينهما أم أن كلا منهما ينفرد بذاته؟؟

وقبل الولوج إلى توضيح الدلالة الاصطلاحية لمفهوم التربية الدينية الإسلامية ، والاسترسال في تحديد الفرق بينه وبين غيره من مفاهيم ذات صلة به ، أرى أنه لزاما عليَّ أن أبدأ الحديث بالدلالة اللغوية لمفاهيم : التربية ، الدين ، الإسلام ، وذلك لارتباط الدلالة الاصطلاحية لهذه المفاهيم لغويا؟؟

التربية في اللغة تعني أحد أمور ثلاثة هي : النمو والزيادة ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (الروم:٣٩) ، والتنشئة والترعرع ، والإصلاح والرعاية ، وكلها دلالات تكاد تتفق فيما بينها على تعهد

الناشئ بالرعاية وحسن التوجيه ، وأخذه رويدا رويدا إلى ما يصلح شأنه ، ويؤدي به إلى النمو الذي يسعى به إلى مزيد من النمو ، والوصول به إلى درجة الكمال الإنساني .

أما لفظ الدين فيعني في دلالته المعجمية عدة معان كلها تدور حول لزوم الانقياد والطاعة والاستسلام ، جاء في المعاجم اللغوية أن «دان» بمعنى ملكه وساسه ، وبمعنى أطاعه وخضع له ، وبمعنى قضى في شأنه ، وورد دان بالمذهب بمعنى اتخذه دينا وتخلق بتعاليمه ، ويذكر «مجاور» أن كل خضوع على وجه ما لشيء ما يسمى دينا سواء أكان هذا الخضوع ناشئا عن وحي أو انحراف ، يؤيد ذلك ما ورد في كتاب الله عز وجل من تسمية كل أنواع الخضوع والانقياد دينا ، حتى إن عبدة الأوثان قد خوطبوا بمعتقداتهم بالدين ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون:١-٦) وقال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥) ، وهذه النصوص وغيرها تؤكد أن القرآن الكريم أطلق هذا اللفظ على المعتقدات المختلفة سواء كانت معتقدات حقيقية صحيحة كاعتقادنا الإسلام ، أو كانت معتقدات باطلة كاعتقاد مشركي مكة في الأصنام ، وكاعتقاد المجوس في النار[1] . . .

أما لفظ الإسلام فيدل في اللغة على الاستسلام والانقياد لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥) ، وقال ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩) .

(١) محمد صلاح الدين مجاور : تدريس التربية الإسلامية ، أسسه وتطبيقاته التربوية (الكويت ، دار القلم ١٩٩٤م)

ونخلص من هذه المراجعة اللغوية للألفاظ الثلاثة على ما يلي :

ـ أن التربية هي عملية نماء وإصلاح وتعهد تتم بإحداث تغيرات مقصودة .

ـ أن التدين أمر حتمي ولازم لتوجيه سلوك الفرد وأفعاله .

ـ أن الإسلام نظام متكامل تضمن شئون الناس في دنياهم وآخرتهم .

تلك هي الدلالة اللغوية (المعجمية) وهي وحدها غير كافية ، ومن ثَمَّ يجب أن تستكمل بدلالة الاصطلاح ، وفي الاصطلاح تعددت وجهات النظر حول هذا المفهوم وحول المفاهيم ذات العلاقة به ، وهل هي بمعنى واحد أم أن لكل مفهوم منها دلالته الاصطلاحية الخاصة به ، وانقسم التربويون حول ذلك إلى فرق وأحزاب ، وكل حزب بما ذهب إليه فرح مسرور ، فهذا أحدهم[1] ينظر إلى التربية الإسلامية نظرة لا تختلف عن التربية الدينية الإسلامية التي تتم في المدارس حيث يرى أنها « تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد ، يستند إلى المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام ، والتي ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العلمية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الإسلام» وهو في هذا يركز على أن التربية الإسلامية مجرد مفاهيم إسلامية يؤدي تطبيقها إلى انطباق سلوك الفرد والإسلام .

ويرى« مجاور » أن التربية الإسلامية تعني أن يصبح الإنسان إنسانا فيه خصائص الكائن الإنساني من التفكير والإرادة والوجدان ، وهي تأخذ مكانها داخل الفرد ، وتمثل انعكاسا للنمو الاجتماعي وللثقافة التي يعيشها ، وهو بهذا يرى أن التربية الإسلامية تتميز بأنها عملية تعلم ، وأنها ترمي إلى إكساب سلوك أو تعديله ، وأنها مسئولة إلى حد كبير عن تكوين الشخصية عند الإنسان[2] .

---

(١) سعيد إسماعيل علي:أصول التربية الإسلامية (القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٨م) ص٧ .

(٢) محمد صلاح الدين مجاور ، تدريس التربية الإسلامية وأسسه وتطبيقاته التربوية ، ص٢٧ .

ويرى« الحمادي» أنها عملية يؤخذ فيها الناشئون من أبناء الإسلام بألوان من الأنشطة الموجهة في ظل الفكر والقيم والمثاليات والمبادئ الإسلامية ، لتعديل سلوكهم وبناء شخصياتهم على النحو الذي يجعل منهم أفرادا صالحين نافعين لدينهم وأنفسهم ووطنهم وأمتهم الإسلامية والبشرية كلها[1] .

ويلوح لنا من خلال هذا العرض أن الآراء الثلاثة تتفق على أنه ليس هناك فرق بين التربية الإسلامية والتربية الدينية الإسلامية ، كما يتضح لنا أن التربية الإسلامية ليست عملية نقل للمعارف النظرية فحسب ، كما أنها ليست عملية تعنى بالجوانب الروحية عند الفرد فقط ، أو أنها تربية نظرية بعيدة عن خضم الواقع المعيش ونبضه ، إنما هي أبعد من ذلك ، فهي تربية تهدف إلى إحداث تغييرات مقصودة في سلوكيات التلاميذ ، وإكسابهم بعض السلوكيات الأخرى ، كما تهدف إلى بناء شخصياتهم في جميع جوانبها الجسمية والمعرفية والوجدانية ، وتنمية ما لديهم من إمكانيات من خلال أخذهم بالعديد من الأنشطة الموجهة لسلوكياتهم في إطار الفكر الإسلامي ومبادئه وقيمه ، ومن هنا يمكن أن نقول بأن التربية الإسلامية هي الترجمة العملية للفكر الإسلامي في ميدان التربية ، أو أنها منهجا متكاملا للحياة وللنظام التعليمي بكل مكوناته.

وهناك من لا يجد فرقا بين التربية الإسلامية والتربية الدينية ، يقول « مدكور١٩٩٩م» : في التصور الإسلامي لا فرق بين مفهوم « الإسلام» ومفهوم « الدين» وليس هذا رأيا أبديه ، أو فتوى أفتي بها ، وليس لأحد أن يفتي في هذا الأمر ، فهذا الأمر أخطر في ميزان الله من أن يفتى فيه بالرأي ، لأن الأمر كله لله، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ** ﴾(آل عمران:١٩)، وقال : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ (آل عمران:٨٥)، وقال : ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾ (المائدة:٣) ،

(١) يوسف الحمادي : أساليب التربية الإسلامية (الرياض ، دار المريخ١٩٨٧م) ص٢١.

إذن فالدين هو الإسلام ، والإسلام هو الدين ـ كما يرى صاحب هذا الرأي ـ وإضافة لفظ التربية إلى أي منهما لابد أن يعني نفس الشيء ، ويستطرد الكاتب قائلا إن الإسلام عقيدة وشريعة ، أي نظام عقدي ينبثق عنه نظام اجتماعي ، والدين كما عرفه البعض هو المنهج العام الذي يحكم حركة الحياة،قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة:٤٨) ، فلا داعي إذن للقول أن مفهوم «الإسلام» أوسع من مفهوم «الدين»[١] . . . . .

ويستنتج الكاتب من خلال هذا الطرح أن التربية الدينية ليست مجرد شعبة واحدة من التربية الإسلامية ، بل إنها هي بعينها ، فالتربية الدينية هي التربية الإسلامية ، والتربية الإسلامية هي التربية الدينية .

وعلى الرغم من أن هذا الرأي ساقه صاحبه مدعما بالأدلة المتمثلة في النصوص القرآنية ، إلا أننا نرى أنه جانبه الصواب ، فالقرآن الكريم كما استخدم لفظ الدين مرادفا للإسلام ، كذلك استخدمه ليعبر به عن معتقدات المشركين في بعض المواقف ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(الكافرون:١-٦) ، فهنا عبر القرآن الكريم عن معتقدات المشركين بالدين ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ (آل عمران:٨٣) ، يدل على أن هناك أديان أخرى تغاير دين الله ، ومن هنا فإطلاق الكلام في هذه المسألة أمر لا محل له .

وعلى هذا يبقى لكل من هذه المفاهيم دلالته ومعناه ، فالتربية الدينية مفهوم عام لا يطلق على التربية الدينية الإسلامية فحسب ، إنما يشمل أي تربية دينية سواء كانت مسيحية أم يهودية أم مجوسية أم بوذية . . . وبإضافة لفظ الإسلام

(١) على أحمد مدكور : منهجية تدريس العلوم الشرعية (القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٩٩م) ص ٥٩ ، ٦٠ .

للتربية ـ التربية الإسلامية ـ أصبح المفهوم يشير إلى المنهج الشامل المتكامل لحياة الإنسان المسلم، ومن مكونات هذا المنهج النظام التعليمي بكل مكوناته، أي أنه لا يعني فقط النظام التعليمي، وإنما يشمل النظام التربوي الشامل لجميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية . . . لأن الإسلام ـ كما ينظر إليه البعض ـ هو النظام الإلهي الذي ختم الله به الشرائع، وجعله نظاما كاملا شاملا لجميع نواحي الحياة، وارتضاه لتنظيم علاقة البشر بخالقهم وبالكون والخلائق، وبالدنيا والآخرة، وبالمجتمع، وبالزوجة والولد، والحاكم والمحكوم، ولتنظيم كل الارتباطات التي يحتاج إليها الناس تنظيما مبينا على وجه الخضوع لله وحده وإخلاص العبودية له، وإلى الأخذ بكل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام . أما مفهوم التربية الدينية الإسلامية فهو يعني نظام الإسلام ومنهجه في التربية والتعليم، ومن ثَمَّ فهو يشمل الأهداف، والمحتوى التعليمي، وأساليب التعليم وأنشطته، وأساليب التقويم الشامل لجميع النواحي المعرفية والوجدانية والمهارية، والشامل ـ كذلك ـ لجميع جوانب التلميذ والمنهج، وإعداد معلم التربية الدينية الإسلامية . . . .

ثانيا : أهمية التربية الدينية الإسلامية

تبدو الحاجة ضرورية وملحة للتربية الدينية الإسلامية في عصرنا الراهن، نظرا لما يمر به من أحداث وتطورات أثرت على الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، وأوجدت تحديات عديدة كان لها الأثر السيئ على قيم الأفراد وأخلاقهم وسلوكياتهم وتدينهم بشكل عام، ومن هذه التحديات : تغلب الجانب المادي الناتج عن التطور المذهل في شتى ميادين الحياة، والذي أدى إلى اختلال النظام القيمي في المجتمع، وتغيير سلوكيات الأفراد إلى درجة أطلق عليها البعض «أزمة السلوك»، ومن نواتجها : العزوف عن العمل، والركون إلى الكسب السريع دون النظر إلى مدى حليته من حرمته، وانتشار الرشوة، والاختلاس، وتجارة العملة، والمخدرات، والانحراف بكل

صوره ، والسرقة ، والقتل ، واغتراب الآباء عن الأبناء ، والتفكك الأسري الناتج عن عمليات الطلاق ، أو المشاكل الزوجية . . . ومنها شيوع ظواهر العنف والجريمة والتطرف والإرهاب المحلي والعالمي ، وكذلك زيادة معدلات التدخين والإدمان ، وضعف الوازع الديني (الضمير) عند كثير من الناس ، الأمر الذي يجعل من التربية الدينية الإسلامية ضرورة حتمية لمعالجة هذه المشكلات عن طريق :

١- تنمية معارف المتعلم وقدراته العقلية من خلال تعريفه بالأحكام الشرعية ، والأمور التي تصح بها عباداته ، وتسلم بها معاملاته من الاستغلال وعدم الأمانة ، وتصبح جميع عباداته ومعاملاته وسلوكياته وتصرفاته موجهة لله عز وجل .

٢- إحداث توازن بين الجانب المادي والجانب الروحي عند الفرد المسلم ، ورده إلى طريق خالقه ردا جميلا ، فالتربية الدينية الإسلامية « تعالج فطرة الإنسان بصورة شاملة ، ودقة متناهية ، حيث تعالج روحه وجسده ومشاعره وتعامله ككل واحد ، وكيان متكامل ، لا تعالج جانبا وتهمل آخر ، وهي لهذا تمتاز بالشمول »[(١)].

٣- تعديل اتجاهات المتعلم السلوكية في الإطار الذي رسمه الدين الإسلامي وحددته تعاليمه .

٤- « إكساب المتعلم القيم والعادات والتقاليد الإسلامية والميول التي تحيله من مجرد كائن حي يأكل ويشرب ويتناسل وينام . . . إلى إنسان له من الإرادة ما يمكنه من تسخير قوى الطبيعة بما فيه مصالحه ومنافعه »[(٢)].

---

(١) إبراهيم محمد عطا : طرق تدريس التربية الإسلامية (مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٦م) ص ١١٧ بتصرف .

(٢) سعيد إسماعيل علي : نشأة التربية الإسلامية (القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٨م) ص١٣١ بتصرف .

٥- مساعدة المتعلم على التمسك بالحق والدفاع عنه وتخرج مجموعة من المؤهلين تتسلح بأساليب الإقناع ، والدعوة إلى الله ـ تعالى ـ بالحكمة والموعظة الحسنة .

٦- تعمل على تحقيق الانسجام الاجتماعي بين أبناء الملة الواحدة .

ثالثا : غاية التربية الدينية الإسلامية

لما كانت التربية الدينية الإسلامية تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ باعتبارهما أبرز مصادرها فإنه قد تم تحديد أبرز غاياتها من خلال ما أشار إليه القرآن الكريم ، فهي ترمي إلى إعداد الإنسان الصالح المؤمن بالله العابد له ، وهي بهذا كما يقول محمد قطب[1] تتفرد عن مناهج التربية الأرضية ، في أنها لا تعتبر المواطن الصالح هو المساير لوطنه في الحق والباطل ، بل هو الإنسان المؤمن الذي تتحقق فيه عبودية الله تعالى وحده ، ويتحقق بتحقيقها كل الفضائل الإنسانية ، ومن ثَمَّ ، فإذا كانت مناهج التربية الأرضية تلتقي عند غاية واحدة هي إعداد المواطن الصالح ، وتختلف بعد ذلك فيما بينها من تصور هذا المواطن وتحديد صفاته ، حيث يتصور بعضهم أنه الشاكي السلاح المتأهب في كل لحظة للوثوب سواء للعدوان أو لرد العدوان ، وقد يكون هو الرجل الطيب المسالم الذي لا يحب الاعتداء على أحد ولا اعتداء أحد عليه ، وقد يكون هو الناسك المتعبد الذي يهجر الحياة الدنيا وينصرف عن صراع الأرض الكريه ، وقد يكون هو العاشق لوطنه المجنون بعنصريته . . . . فإن الإسلام لا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة ، حيث لا يسعى لإعداد المواطن الصالح ، إنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل ، هو إعداد الإنسان الصالح .

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية (القاهرة ، دار الشروق ، بدون تاريخ) ص١٣ ، ١٤بتصرف .

ولقد حدد الإسلام مواصفات الإنسان الصالح بدقة تامة ، حيث يراه الأتقى ، قال تعالى:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، العابد لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات:٥٦-٥٨) ، والعبادة هنا تتسع لتشمل دقائق الحياة وتفصيلاتها ، وتشمل كل عمل وكل فكرة وكل شعور ، أي التوجه بكل نشاط حيوي إلى الله عز وجل في هذا النشاط وما يغضبه ، وتوقي غضبه ، والعمل على رضاه ، وهو الإنسان الذي يتبع هدى الله تعالى ويستمد من هذا الهدى منهج حياته ، ومنهج شعوره ، ومنهج سلوكه ، ولا يتلقى من مصدر سواه ، قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٣٨) ، وقال : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (طه:١٢٣) ، وهو الإنسان الذي يحسن الخلافة عن الله في أرض الله ، ويفي بشروط الخلافة التي منحه الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠) ، وبهذا تتفرد التربية الدينية الإسلامية عن غيرها في أول غاياتها ، وهي إعداد الإنسان الصالح وتحديد مواصفاته ورسمها بدقة متناهية .

ومن غاياتها تنمية القيم الدينية والأخلاقيات الإسلامية في نفوس المسلمين ، فالإسلام جاء ليرتقي بالإنسانية من دركات الرذيلة إلى أسمى آيات الفضيلة ، قال ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »[1].

(١) رواه الإمام أحمد : مسند المكثرين من الصحابة ، حديث رقم (٨٩٣٩) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والتالي لآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ سوف يجد أنهما يدعوان إلى الفضيلة ، وينهيان عن الأخلاق المذمومة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠)، قال «ابن مسعود» عن هذه الآية : ليس من خلق كان في الجاهلية يعمل ويستحب إلا أمر الله تعالى به في هذه الآية ، وليس من خلق سيئ إلا نهى الله تعالى عنه في هذه الآية .

ومن غاياتها تنشئة الأجيال على الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره ، وهذا ما بعث الله من أجله الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فلقد بعثهم إلينا من أجل الإيمان به ، وصفاته العليا التي منها الوحدانية ، والقدرة ، والعلم ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . . . ومن أجل الإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام والكتب ، واليوم الآخر والقدر ، قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥) .

ومن غايات التربية الدينية الإسلامية الاعتزاز بالتراث الإسلامي ، فتنشئة المتعلم على الاعتزاز بدينه ورسوله وعلمائه وترءاثه شيء مطلوب ، ولقد كتب الله العزة له ولرسوله وللمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (المنافقون:٨) ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته القدوة والأسوة ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب:٢١).

وهكذا نرى أن التربية الدينية الإسلامية متفردة في غاياتها تفرد الإسلام ذاته عن بقية الأديان والملل والنحل الأخرى ، والناظر إلى الغايات التي عرضناها سوف يجدها تتسم بما يلي :

١- العمومية والتجريد .

٢- أنها تمثل الإطار العام الذي يرجع إليه لتحديد أهداف التربية الدينية الإسلامية في كافة المستويات التعليمية .

٣- أنها بعيدة المدى في التحقيق ، أي أن تحقيقها يحتاج وقت طويل .

٤- أن تحقيقها يحتاج إلى جهد متواصل من كافة المؤسسات التربوية في المجتمع .

٥- أنها تجسد المثالية والطموح .

٦- أنها تمثل نقطة البداية في العملية التربوية الإسلامية .

٧- أنها تشتق من مصادر متعددة منها :

أ ـ فلسفة المجتمع (طبيعته ، وتراثه ، وماضيه ، وحاجاته ، وأهدافه ، ومشكلاته ، وظروفه الاقتصادية ، والضغوط التي يتعرض لها) .

ب ـ طبيعة المادة الدراسية .

ج ـ آراء المتخصصين في المادة الدراسية .

د ـ البيئة المحلية .

رابعا : مصادر التربية الدينية الإسلامية

تستند الشريعة الإسلامية إلى العديد من المصادر ، منها ما هو أصلي كالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والإجماع ، والقياس ، ومنها ما هو ثانوي كالاستحسان ، والاستصحاب ، وعمل أهل المدينة ، والعرف . . . أما التربية الدينية الإسلامية فيمكن أن نعد من مصادرها ما يلي :

١- الوحي :

ويتناول القرآن الكريم والسنة

أ- القرآن الكريم :

يعد القرآن الكريم المصدر الإلهي الأول للتربية الدينية الإسلامية ، والقرآن الكريم هو كتاب الله الأزلي القديم المنزل على قلب سيدنا محمد عليه الصلاة

والسلام ، المحفوظ بين دفتي المصحف الشريف ، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس ، والمتعبد بتلاوته ، والمتحدى بأقصر سورة منه ، والمعجز في لفظه ورسمه ومعناه ، والجامع لأنباء الماضين ، و أخبار الآتين ، والشامل لأحكام هذه الأمة ، قال ﷺ : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلنا ما المخرج منها يا رسول الله : قال : كتاب الله تعالى ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، وهو الذي لا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم » . صدق رسول الله ﷺ .

فلقد تضمن هذا المصدر أحكاما عقدية تتعلق بذات الله تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، وذوات رسله عليهم الصلاة والسلام ، وصفاتهم ، وكتبهم ، ومعجزاتهم ، وما يجوز في حقهم ، وما يستحيل . . . . كما تضمن أحكاما عملية تتعلق بالفقه الإسلامي ، عبادات ومعاملات ومناكحات وجنايات وحدود ، وكفارات .... كما تضمن أحكاما أخلاقية تتعلق بالفضائل والقيم والحث على إتيانها ، والرذائل والتحذير من إتيانها . . .

والتربية الدينية الإسلامية تعتمد على هذا المصدر اعتمادا كليا في اشتقاق أهدافها ، وفي بناء وصياغة محتواها ، وفي اختيار أساليب تدريسها ووسائلها ، وجميع أنشطتها ، ولا ريب في ذلك فلقد صرح المصطفى ﷺ بذلك في حديثه الشريف حيث يقول : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ،

كتاب الله وسنتي»[1]، فهذا في واقعه توجيه صريح بأن نأخذ من القرآن والسنة ما يقوِّم سلوكنا ، ويصلح حياتنا ، في الدنيا والآخرة ، وغني عن البيان كما قلنا أن القرآن الكريم شريعة الإسلام المتكاملة الشاملة لجميع نواحي الحياة ، بما فيها من قيم تربوية تغنينا عن التطلع إلى ما هو مستحدث في هذا المجال .

ب ـ السنة النبوية المطهرة :

تمثل السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني للتربية الدينية الإسلامية ، فهي صنو القرآن الكريم في ذلك ، يقول ﷺ : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته ، يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بساحة قوم فلهم أن يقروهم ، فإن لم يقروهم فعليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم»[2]، ويقول ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ»[3].

وإذا كانت السنة النبوية المطهرة تتمثل في أقوال النبي وأفعاله وتقريراته ، فإن القرآن الكريم في حاجة ماسة إليها ، فهي شارحة له ، وموضحة لمبهمه ، ومفصلة لمجمله ، ومبينة لناسخه من منسوخه ، وذاكرة لسبب نزوله . . . .

والسنة النبوية المطهرة محفوظة كالقرآن الكريم تماما ، فهي ذكر ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٤٤) ، ومن ثَمَّ فهي داخلة في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩).

---

(١) أخرجه الإمام الربيع في مسنده ، ٣٠/١ ، باب في العلم وطلبه وفضله ، بلفظ : «ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله عز وجل ، فما لم تجدوه في كتاب الله ففي سنتي» صدق رسول الله ﷺ .

(٢) رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ٥٠٥/٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ١٢٦/٤ ، وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، ح٤٦٠٧ ، ص٢٠٠ .

والسنة النبوية المطهرة تشتمل على أحكام شريعة الإسلام ، ورسول الله ﷺ كان صورة صادقة ومعبرة عن هذا الدين الحنيف ، ومثلا يحتذى في هذا الشأن ، لذلك فهي مصدر أصلي كالقرآن تماما أمرنا أن نأخذ منه ما يصلح حياتنا ويقوم المعوج من سلوكنا .

٢- سيرة الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والشخصيات الإسلامية في كل عصر :

تمثل سيرة الصحابة رضوان الله عليهم مصدرا ثالثا للتربية الدينية الإسلامية بنص حديث المصطفى ﷺ الذي يقول فيه : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديم »[(١)]، وقوله ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ »[(٢)]، ولا ريب في ذلك فالصحابة تربوا في مدرسة الرسول ﷺ ، وتشربوا سنته ﷺ قولا وسلوكا ، وجاءت سيرتهم تطبيقا عمليا لمبادئ الإسلام وقيمه ، ولذلك حري بنا أن نقتدي بهم ، وأن نسير على دربهم ، وأن نربي أولادنا على سلوكياتهم .

إن الإمام « مالك » رحمه الله تعالى جعل عمل أهل المدينة من صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم مصدرا ثانويا من مصادر الشريعة الإسلامية ، لأن أهل المدينة من التابعين شاهدوا آباءهم من الصحابة ـ على سبيل المثال ـ يفعلون كذا ، وآباءهم رأوا رسول الله ﷺ يفعل نفس الشيء ، لذلك كان رضي الله عنه يعد عملهم مصدرا من مصادر الشريعة الإسلامية .

---

(١) ذكره المبارك فوري في تحفة الأحوزي ١٠/١٥٥ ، وقال رواه عبد بن حميد في مسنده عن طريق حمزة النصيبي عن نافع عن ابن عمر وحمزة « ضعيف جدا » . وذكره العجلوني في كشف الخفا ١/١٤٧ وقال رواه البيهقي . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٨/٧٣ وقال ابن عبد البر في العلم هذا إسناد لا تقوم به حجة لأن الحارث بن غصين مجهول .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٤/١٢٦ ، وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، ح٤٦٠٧ ، ص٢٠٠

وينبغي ألا يقتصر هذا المصدر على سيرة الصحابة والتابعين ، بل ينبغـي أن تشمل سيرة أهل الصلاح والتقوى من أعلام المسلمين في كل عصـر ، وفي كـل مصـر ، لتكون سيرتهم مـنهلا عـذبا ، ومـثلا يقتـدى ، يـدعم القـيم في نفـوس الناشئ .

٣- عناصر البيئة المحيطة بالإنسان :

تشكل البيئة مجموعة الظروف التي تحيط بالإنسان ، والتي تؤثر فيه كما يؤثر فيها ، وتتضمن البيئة المحيطة بالإنسان في طياتها العديد من الأدلة المادية على وحدانية الله تعالى ، وعلى اتصافه بصفات الخلق والإبداع والقدرة . . . ولقد دعانا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى النظر في الكون من حولنا لنتعرف على أبعاده المختلفة غير المتناهية ، وما تنطوي عليه من قوانين ، كما دعانا إلى مواطن المعرفة التي سخرت للإنسان لنتعرف من خلالها على خالق هذا الكون ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣) ، ومنه قوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية:١٣) ، ومنه قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ

﴿ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (النحل:١٠-١٦) ، وهكذا فالكون وما فيه من شجر وحجر ومدر وإنسان وحيوان وطيور ونبات وأنهار وجبال وشمس وقمر ونجوم وكواكب . . . يمثل مصدرا خصبا من مصادر المعرفة الدينية التي لا غنى عنها للمشتغل بمادة التربية الدينية الإسلامية ، كما يعد معيارا صادقا يمكن الرجوع إليه في تدريس التربية الدينية الإسلامية وتوظيف المواقف والأحداث المترابطة لترسيخ المفاهيم والقيم لدى المتعلمين .

٤- الواقع المعيش :

يمثل الواقع المعيش بما يشمله من آلام وآمال ، وبما يتضمنه من مشكلات وقضايا . . . أحد المصادر التي تصاغ في ضوئها أهداف التربية الدينية الإسلامية ، وأحد الجوانب التي يرتبط بها محتوى كتب التربية الدينية الإسلامية ، وكذلك التدريس ، إذ ينبغي أن يستغل الواقع المعيش من قبل المعلمين استغلالا طيبا ، عن طريق تسليط الضوء على ما في المجتمع من مشكلات وقضايا . . . ومعروف أن في حياة التلاميذ وفي واقعهم المعيش الكثير مما يساعد معلم التربية الدينية الإسلامية على إيجاد كثير من المواقف التي تجري في الحياة العامة ، والتي يمكن استغلالها في المواقف التعليمية ، ومن هذه القضايا ، قضية الغش ، والكذب ، والسرقة ، واحتكار السلع . . . .

خامسا : مجالات التربية الدينية الإسلامية

ليس المقصود بمجالات التربية الدينية الإسلامية المجالات التي تتضمنها التربية الإسلامية بمفهومها العام الواسع والشامل ، الذي يتمثل في حركة الحياة كلها ، بما فيها الحياة داخل المؤسسات التعليمية ، والحياة خارج المؤسسات التعليمية ، أي المجالات المرتبطة بالبيئة المجتمعية بما فيها من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية ونفسية . . . لكن المقصود هنا بمجالات

التربية الدينية الإسلامية المجالات التي ركزت عليها مناهج التربية الدينية الإسلامية ، وهي عديدة ومشهورة ، تتمثل في :

١- القرآن الكريم وتجويده .

٢- التفسير وعلوم القرآن .

٣- الحديث وعلومه .

٤- العقيدة الإسلامية (التوحيد) بما تشمله من إلهيات ونبوات وسمعيات .

٥- الفقه الإسلامي بما يشمله من عبادات ومعاملات ومناكحات وجنايات وحدود . . . .

٦- السيرة النبوية .

٧- التهذيب والأخلاق .

٨- البحوث الإسلامية (النظم والثقافة الإسلامية) .

٩- الأعلام (الشخصيات الإسلامية) .

والواقع أن هناك نظرة أخرى لمجالات التربية الدينية الإسلامية يجب أن نطرحها هنا ، تتمثل فيها مجالات التربية الدينية الإسلامية فيما يلي :

١- المجال العرفي :

يتكون المجال المعرفي في التربية الدينية الإسلامية من مفاهيم ومصطلحات ومعلومات وحقائق علمية ومبادئ . . . مرتبطة بـ :

أ ـ عالم الغيب :

وهي كل معرفة مغيبة علينا ، أي غير محسوسة ، قال تعالى : ﴿ **الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ** ﴾ (البقرة:١-٣) وقال تعالى : ﴿ **عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا**

﴿ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ (الجن:٢٦،٢٧)، ومن الغيب الذي لا نعلم عنه إلا ما علمنا الله تعالى : ذاته العلية ، قال ﷺ : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذاته فتهلكوا»[1] ومن المعرفة الغيبية ما يتعلق بملائكة الله عز وجل ، فكل ما نعلمه عنهم من كونهم أجسام نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون خلقوا من أجل العبادة والطاعة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولقد وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فاطر:١) ، وتحدث عن أعمالهم ، فمن أعمالهم الاستغفار لعباد الله المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (غافر:٧) ، ومن أعمالهم تحية أهل الجنة ، قال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٣،٢٤) ، ومن أعمالهم حفظ الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ (الانفطار:١٠،١١) ، ومن أعمالهم تأييد المؤمنين بنصر الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال:١٢) ، ومن أعمالهم تسليم الروح إلى بارئها ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ

(١) أورده العجلوني في : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر على ألسنة الناس ، ٣٧١/١ ، ط مكتب التراث العربي .

﴿ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ (الأنعام:٩٣) ، ومن المعرفة الغيبية ما يتعلق بعالم الجن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف:٢٧) ، والجن هم أجسام نارية ـ أي مخلوقة من نار ـ قادرة على التشكل بأشكال قبيحة ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾ (الرحمن:١٥) ، ولقد أفرد القرآن الكريم سورة كاملة عنهم تسمى بسورة الجن ، تتحدث عن أوصافهم ، ودياناتهم ، وأعمالهم . . . قال تعالى : ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴾ (الجن:١) ، ومن المعرفة الغيبية كل ما يتصل باليوم الآخر وما فيه من جنة ونار وصراط وميزان وحساب وثواب وعقاب ، وكذلك كل ما يتعلق بالحياة البرزخية وما فيها من سؤال القبر ونعيمه وعذابه . . . ، ومن المعرفة الغيبية كذلك ما يتعلق بالملأ الأعلى من عرش وكرسي ولوح وقلم وبيت معمور وسدرة المنتهى . . . قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴾ (ص:٦٩) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾ (الطور:١-٤) ، وكل هذه المعرفة مصدرها الوحي الشريف حيث لا اجتهاد للعقل فيها .

والفرد المتعلم في حاجة ماسة إلى هذه المعرفة التي تربطه بالله الذي خلقه، وبالحياة البرزخية والحياة الآخرة اللتان ينتظرانه بعد انتهاء أيامه في دنياه ، وخير مصدر لإشباع هذه الناحية عند الأفراد المتعلمين هو الدين .

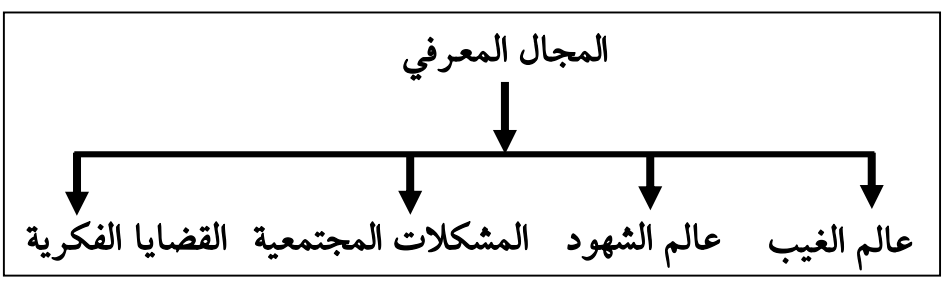

شكل رقم (١) المجال المعرفي

ب ـ عالم الشهود :

المجال الثاني من المعرفة ، معرفة تتعلق بعالم الشهود ، أي العالم المحسوس ، فهذا الكون الرحب الواسع بآفاقه ، والمليء بالمخلوقات المتعددة المتنوعة ، وهذا الفضاء ونجومه وكواكبه ، وتنوع عوالمه ، يمكن أن يكون مجالا خصبا للتربية الدينية الإسلامية ، ويمكن بهذا : الخروج بالتربية الدينية الإسلامية من دائرة الإطار النظري الذي يسيطر على المناهج الدراسية لتستفيد من معطيات العلم في تدعيم العقيدة في نفوس المتعلمين حيث إن المعرفة العلمية مليئة بالحقائق التي تنطق بقدرة الله تعالى التي لا حدود لها ، والتي ليست في حاجة إلى أن نبحث لها عن آية قرآنية لنفسر بها تلك الحقيقة أو هذه الظاهرة ، وذلك ابتداء من الذرة ونظامها المحكم الدقيق ، إلى الكون الشاسع الذي لو اختل توازنه مثقال ذرة لتبعثرت الكرة الأرضية ، ولم يصبح لها وجود ، ومن الإنسان نفسه إلى ما حوله من المملكة الحيوانية والمملكة النباتية وما تحويهما من عجائب يعجز عن حصرها العقل[1].

إن القرآن الكريم تحدث عن العالم المشهود ـ أي الكون ـ حديثا فضفاضا لفت فيه أنظار الناس إلى هذا الكون وما فيه من ظواهر كالسماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم وما ينزل منها من مطر وما تحمله من سحاب ، وكالأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وثمار ونبات ودواب وطير . . . لقد تعرض لكل هذا باعتباره من دلائل قدرة الله تعالى ، ومن ثَمَّ يمكن للتربية الدينية الإسلامية الاستفادة بهذا وجعله مجالا خصبا لها .

---

(١) للمزيد في هذا الجانب يراجع : أحمد الضوي سعد : برنامج مقترح لتطوير محتوى مناهج التربية الدينية الإسلامية للمرحلة الثانوية بالتعليم العام « رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٨م ، ٩٤-٩٨ ».
محمود عبده أحمد ، مصطفى عبد الله : تدريس التربية الدينية بالتعليم العام والأزهرى (فلسفته ، إجراءاته) ٣٠/١، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .

ج ـ المشكلات المجتمعية :

تعد المشكلات المجتمعية التي يعاني منها المجتمع في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والتعليمية وفي مجال التغذية . . . من المجالات المهمة بالنسبة للتربية الدينية الإسلامية ، إذ لا يعقل بأي حال من الأحوال أن يدرس التلاميذ التربية الدينية الإسلامية بمعزل عن واقع حياتهم ، إنما ينبغي أن تتضمن مناهج التربية الدينية الإسلامية هذه المشكلات ، لتجري حولها المناقشات التي تستهدف تعريف التلاميذ بها وتوضيح حكم الدين بشأنها .

وفي حياة التلاميذ في أي مجتمع من المشاكل المتنوعة ما يساعد على خلق كثير من المواقف التعليمية ، ومن هذه المشاكل : مشكلة الغش ، ومشكلة السرقة ، ومشكلة الكذب ، ومشكلة الخيانة ، ومشكلة التطفيف في الكيل والميزان ، ومشكلة احتكار السلع . . . وكلها مشكلات يمكن أن تكون مجال لمناهج التربية الدينية الإسلامية في المرحلة الابتدائية ، وهناك مشكلات أخرى يمكن أن تكون بمثابة مجال لمناهج التربية الدينية الإسلامية في المرحلة الإعدادية والثانوية ، ومن هذه المشكلات : مشكلات التطرف والإرهاب ، والمخدرات ، والتدخين ، والقضايا المتعلقة بالمرأة كحرية المرأة ، وعمل المرأة ، والمساواة بين الرجل والمرأة . . .

د ـ القضايا الفكرية :

تواجه الأمم عادة بالعديد من القضايا الفكرية التي تحتاج من مفكريها إلى تكاتف الجهود حولها للوصول إلى حقائقها ، وإيجاد حلول لها ، والأمة الإسلامية في ذلك شأنها شأن الأمم الأخرى واجهت في السنوات الأخيرة العديد من القضايا الفكرية التي احتاجت من أبنائها إلى الوقوف أمامها وإثارة التفكير حولها للوصول إلى كنهها ، ومن هذه القضايا :

ـ العلاقة بين العلم والدين .

ـ العلاقة بين الدين والسياسة والمطالبة بفصل الدين عن السياسة ، وإقامة شعار لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين .
ـ التطرف والإرهاب والفرق بينهما وبين المقاومة المشروعة .
ـ الحرية الفكرية وحدودها .
ـ حقوق الإنسان بين الإسلام ومنظمات حقوق الإنسان .
ـ صراع الحضارات .

وهذه القضايا وغيرها الكثير تعد مجالا معرفيا خصبا للتربية الدينية الإسلامية يمكن لمناهجها في المراحل المتقدمة تناولها بالدراسة المعمقة الجادة مستهدفة من وراء ذلك توعية الطلاب بها ، ومحاولة الوصول بهم إلى حلول فكرية لها .

٢- المجال الوجداني :

يتناول المجال الوجداني أو الانفعالي عواطف المرء ومشاعره ووجدانياته من حب وكره وميل ونفور وغضب وخوف وسرور وحزن وحقد وحسد وولاء وانتماء . . . وفي التربية الدينية الإسلامية يصعب حصر هذا الجانب ، فلقد تحدث القرآن الكريم عن المشاعر وأعمال القلوب حديثا فضفاضا ، وكان مما تناوله الحب والكره والغضب والحقد والحسد والنفاق . . . ونظرا لاتساع هذا الأمر فإننا سنركز هنا على أمور أربعة تتمثل في : العقائد ، والقيم ، والاتجاهات ، والميول والرغبات لما لها من أهمية بالغة في مجال تدريس التربية الدينية الإسلامية ، وفيما يلي بيان ذلك :

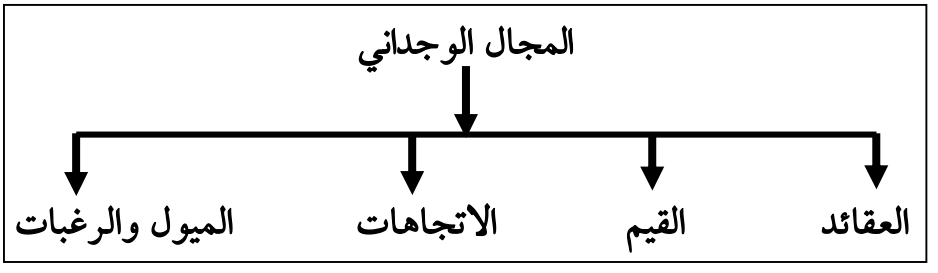

شكل رقم (٢) المجال الوجداني

أ ـ العقائد :

العقيدة هي أولى مكونات الجانب الوجداني في التربية الدينية الإسلامية ، لأنها أساس الدين الإسلامي وركيزته الأولى ، وإذا صحت وسلمت عقيدة المرء صحت وسلمت عباداته ومعاملاته ، والعقيدة بمفهومها الصحيح هي ما رسخ في القلب وصدقه اللسان وتجاوب معه العمل ، وبعبارة أخرى ما وصل به الاعتقاد إلى درجة تنتفي معها كل بادرة للشك والإنكار والتردد وما إليها مما يساور النفس البشرية ، وفي مثل هذه الدرجة من اليقين يتطابق معها القول والعمل وألوان السلوك على اختلافها ، وأساس العقيدة الإسلامية الإيمان السليم الراسخ الذي تردد في القرآن الكريم بلفظه أو مشتقاته عددا جما من المرات ، قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة:٢٨٥) ، وقال : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧) .

والعقيدة رغم أنها أمور وجدانية تتعلق بالقلب إلا أنها أيضا تتضمن جانب معرفي سبيلنا الوحيد إلى معرفته كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وبناء على ذلك فهي تضم من المعارف :

- الإلهيات وهي تشمل : كل ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته العليا وأفعاله ، وآثار الإيمان بها في سلوكنا وفي تعاملاتنا مع الغير .

- النبوات وهي تشمل : ذوات الرسل وصفاتهم ، وعصمتهم عليهم الصلاة والسلام ، ومعجزاتهم ، وكتبهم ، . . .
- السمعيات وهي تشمل : سؤال القبر ونعيمه وعذابه ، كما تشمل البعث ، والنشور وأهواله ، واليوم الآخر وعلاماته ، وما فيه من حساب وثواب وعقاب وصراط وميزان وجنة ونار . . .

ب ـ القيم :

تعد القيم إحدى مكونات المجال الوجداني ، وهي عبارة عن ضوابط وموجهات عامة للفرد فكرا وسلوكا للتكيف مع أفراد مجتمعه ، وهي تلعب دورا ذا أهمية بالغة في التربية الدينية الإسلامية ، وليس أدل على ذلك من أن الغرض الأسمى من بعثته ﷺ هو تهذيب السلوك الإنساني والارتقاء به إلى أفضل الدرجات ، قال ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »[1]، ولذلك فما دروس التهذيب والأخلاق في التربية الدينية الإسلامية إلا وسيلة من وسائل تهذيب السلوك وتقويم الخلق وغرس آدابه في نفوس التلاميذ ، ومن ثَمَّ فالقيم في التربية الدينية الإسلامية تهدف ـ من بين ما تهدف إليه ـ إلى تزويد المتعلم بالقيم الصالحة مثل التسامح ، والبعد عن التعصب والانطواء والتزمت ، والمبادأة والمبادرة ، والتفاهم والسلام ، والاعتراف بحقوق الإنسان ، وتحمل المسئولية ، والعمل في فريق ، والسماحة ، والاعتدال ، والإيثار ، والتعاون ، واحترام عقائد الآخرين ، والتماسك ، والإيمان بالغيب ، والعمل ، والمشاركة حتى ينسجم المتعلم مع أفراد بيئته ، ويدرك أن من واجبه أن يكون عضوا صالحا في مجتمع تربطه به أواصر المحبة والألفة . وتحذيره من القيم السالبة مثل السخرية والتنابز بالألقاب والنفاق و . . .

---

(١) سبق تخريجه .

والقيم في مجتمعنا الإسلامي تختلف عن القيم في أي مجتمع آخر في أنها تستند إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وتشتق مبادئها منهما ، كما أنها تنطلق من سياق ثقافي إسلامي له ضوابطه وحدوده ، سياق لا يعرف الانفلات والتحرر ، إنما يؤمن بالفضيلة ويتمسك بها ويدعو أفراده إلى الالتزام بها ، وينفر من الرزيلة .

والقيم التي تركز عليها المجتمعات الإسلامية هي القيم التي تعمل على ربط علاقة المسلم بخالقه ، كقيمة التوحيد والعقيدة والعبادة . . والتي تعمل على ربط علاقة المسلم برسوله كقيمة حب الرسول وطاعته وتصديقه ... وكذلك التي تربط علاقة المسلم بإخوانه المسلمين كالصداقة والأخوة والصفح والكرم .... وكذلك التي تركز على ربط علاقة المسلم بالكائن الحي أيا كان ، كقيمة الرفق بالحيوان وغيرها ، وكذلك القيم التي تركز على ربط علاقة المسلم ببيئته ، كما تركز على علاقة الإنسان المسلم بغير المسلم كقيمة التسامح واحترام الأديان الأخرى وتقبل نقد الغير . . . . وكلها قيم ترتقي بسلوكيات الإنسان وترتفع بها إلى أسمى آيات المجد .

ج ـ الاتجاهات :

تعددت وجهات نظر العلماء حول الاتجاهات ، فالبعض نظر إليها في ضوء مكوناتها الثلاثة المعرفية والوجدانية والسلوكية ، في حين ركز البعض الآخر على الجانب الوجداني فقط ، بينما ركز فريق ثالث على الجانب السلوكي ، والاتجاهات عادة قد تكون موجبة وقد تكون سالبة ، فإذا كانت موجبة فتكون بالقبول ، وإذا كانت سالبة فتكون بالرفض ، وهذا يعني أنه يوجد اتجاه متعادل ، والاتجاهات قد تكون نحو موقف أو قضية أو شيء ... أو ضده ، ويركز البعض على درجة الاتجاه كأن يؤيد الفرد بشدة ، أو يعارض بشدة ، أو يكون له رأي وسط .

والاتجاهات الدينية هي إحدى مجالات التربية الدينية الإسلامية ، فالتربية الدينية الإسلامية تهدف إلى تزويد المتعلم بالاتجاهات الإيجابية كالاتجاه نحو ممارسة العبادات ، والاتجاه نحو النظافة ، والاتجاه نحو معاملة الجار معاملة حسنة . . . كما تعمل على تكوين اتجاهات سالبة ضد كل ما هو خارج عن شريعة الله عز وجل كالتعصب والتزمت والمخدرات والتدخين ... ويعرف الاتجاه الديني بأنه « مدى قابلية الفرد أو رفضه للموضوع (الحدث) الديني عن طريق استجابته اللفظية أو الكتابية أو الموقفية والاتجاه بذلك يشتمل على مدى واسع من العناصر الدينية التي تعتبر محاور أساسية يستند إليها تقدير الاتجاه ، مثل الاتجاه نحو الصلاة ، والاتجاه نحو الصوم ، والاتجاه نحو اليوم الآخر[1] . . . » .

د ـ الميول والرغبات :

الميل هو عبارة عن رغبة الفرد واهتمامه بأمر معين ، ويشكل دافعا داخليا يوجه سلوك الإنسان نحو هدف معين، كالميل إلى الإحسان للفقراء والمساكين، والميل إلى التعاون والرغبة في مشاركة الغير ، والميل إلى أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، والميل إلى معاملة الناس معاملة حسنة . . . وهذه الميول كلها مكتسبة ، كما قد تكون الميول فطرية كالميل إلى حب التملك ، وكالميل إلى تناول الطعام والشراب ، والميل إلى الجنس . . .

---

(١) نزار مهدي الطائي : الاتجاه نحو الدين وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينة من الطلبة الجامعيين في الكويت ، حوليات كلية الآداب تصدر عن مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، الحولية الثانية عشرة ، الرسالة السابعة والسبعون ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ، ص ١٨ ، ١٩ .

والميول بنوعيها تمثل إحدى مكونات الجانب الوجداني في التربية الدينية الإسلامية ، فالتربية الدينية الإسلامية بما تقدمه من معارف في الكتب المقررة وبما توفره للمتعلمين من أنشطة متنوعة تعمل على إشباع رغبات المتعلمين ، وتلبية حاجاتهم .

٣- المجال السلوكي :

إن المراجع لأهداف التربية الدينية الإسلامية في أي صف دراسي أو مرحلة تعليمية سوف يدرك مدى تركيز التربية الدينية الإسلامية على الجانب السلوكي واعتباره مجالا لها ، ولا ريب في ذلك فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهما المصدران الأساسيان للتربية الدينية الإسلامية ركزا على الجانب السلوكي ـ الأدائي ـ تركيزا كبيرا ، لأن الهدف من الدين الإسلامي أو من بعثة النبي ﷺ هو تعديل سلوكيات الأفراد ، من سلوكيات تغضب الله عز وجل إلى سلوكيات ترضيه تعالى ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة:٧،٨) ، وقال : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:٤٤) ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:٢،٣) ، وقال ﷺ : « ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوما غرتهم الأماني فقالوا نحسن الظن بالله لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »(١).

ويتناول هذا المجال في التربية الدينية الإسلامية سلوكيات مرتبطة بالتلاوة ، وسلوكيات مرتبطة بالعبادات ، وسلوكيات مرتبطة بالمعاملات ، وسلوكيات مرتبطة بالأخلاق ، وسلوكيات مرتبطة بالنشاط ، وفيما يلي بيان ذلك :

(١) أخرجه ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال ٦/٢٨٩ ترجمة محمد ابن عبد الرحمن ، طبعة دار الفكر ببيروت .

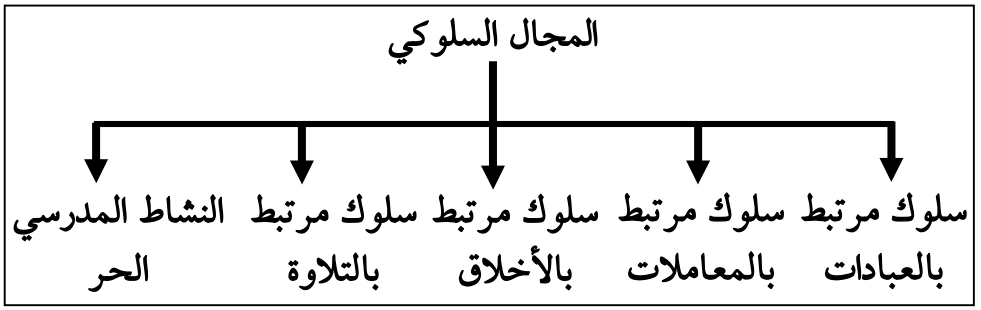

شكل رقم (٣) المجال السلوكي

أ ـ سلوكيات مرتبطة بالتلاوة :

من المجالات السلوكية للتربية الدينية الإسلامية جانب الأداء في التلاوة أو ما يسمى بتلاوة القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾ (المزمل:٤) ، وفي هذا إشارة واضحة إلى تطبيق أحكام التجويد أثناء التلاوة ، بإعطاء كل حرف حقه ومستحقه ، وهذا يعد أمرا واجبا ، قال ابن الجزري :

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا

وهو أيضا حلية التلاوة ... وزينة الأداء والقراءة

وهذا الجانب يدور حول كيفية نطق الحروف نطقا صحيحا بإخراجها من مخارجها الصحيحة ، وإعطائها حقها ومستحقها من التفخيم ، والترقيق ، والاستعلاء ، والاستفالة ، وتفخيم اللام في لفظ الجلالة ، وترقيقها ، ونطق حروف القلقلة ، وتفخيم الراء في مواضعها ، وترقيقها في مواضعها ، والإظهار الحلقي للنون الساكنة والتنوين في مواضعها ، وإدغامهما بغنة في مواضعهما ، وإدغامهما بغير غنة في مواضعهما ، وإقلابهما في مواضعهما ، وإخفائهما في مواضعهما ، وإظهار الميم الساكنة في مواضعها ، وإخفائها في مواضعها ، وإدغامها في مواضعها ، وغن النون والميم المشددتين ، والنطق بال الشمسية ، وال القمرية نطقا صحيحا ، وإجادة المدود بأنواعها ، والوقوف بأنواعها .

ب ـ سلوكيات مرتبطة بالعبادات :

وتتضح هذه السلوكيات في الكيفية العملية لموضوعات : الوضوء ، والغسل ، والتيمم ، والمسح على الجبيرة ، والمسح على الخفين ، والصلاة ، والحج ، وترتبط هذه السلوكيات عادة بجانب معرفي ، يتناول التوضيح النظري لهذه المفاهيم ، ثم يأتي التطبيق العملي ، قال ﷺ وهو يعلم الصلاة « صلوا كما رأيتموني أصلي »[1] وفي تعليمهم مناسك الحج كان يقول : « خذوا عني مناسككم »[2] لذا يعد هذا الجانب من المجالات المهمة للتربية الدينية الإسلامية .

ج ـ سلوكيات مرتبطة بالمعاملات :

المعاملات هي إحدى فروع الفقه الإسلامي التي تعنى بدراسة البيوع والإجارة والرهن والتجارة والزواج والطلاق . . . وكل هذه الموضوعات على الرغم من أنها جوانب معرفية إلا أنها ترتبط بها جوانب سلوكية معينة ، فالنبي ﷺ عندما مر في السوق ووجد طعاما حسنا وضع يده فيه فإذا بيده تخرج مبتلة ، قال : « ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يا رسول الله ، قال : فهلا وضعته أعلى الطعام ليراه الناس ، من غشنا فليس منا »[3]، كما ورد في الأثر « الدين المعاملة » ، وهذه الآثار وغيرها توضح بما لا يدع مجالا للشك أن هناك سلوكيات ترتبط بالمعاملات .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، ٤٣٨/١٠ كتاب : الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم ، عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ٢١٨/٣ ، ٣٦٦ بلفظ خذوا مناسككم .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، ١/ ٩٩ ، كتاب : الإيمان ، باب : قوله ﷺ : (من غشنا فليس منا) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

د ـ سلوكيات مرتبطة بالأخلاق :

جاء الإسلام بأخلاقياته وقيمه ، وجعل الأخلاق الهدف الأسمى والغاية العظمى من بعثة الرسول ﷺ ، قال ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »[1]، ولذلك كثيرا ما كانت سلوكياته الخلقية ﷺ سببا في إسلام الكثير من غير المسلمين ، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن الأخلاق لا قيمة لها ما لم تترجم إلى سلوك علمي يتكيف به المرء مع مجتمعه . فالصدق لا قيمة له ما لم نره واقعا في مجتمعنا ، والأمانة والتواضع والحلم والصبر وحسن الخلق واحترام الكبير والعطف على الصغير . . . كلها كذلك ، وهذه السلوكيات الخلقية التي نتحدث عنها هي ما تستهدفه التربية الدينية الإسلامية من وراء مناهجها الدراسية .

هـ ـ النشاط الحر :

من المجالات ذات الأهمية بالنسبة للتربية الدينية الإسلامية مجال النشاط ، فهو يمثل الجانب التطبيقي العملي الذي بمقتضاه ينطبع التلاميذ على السلوك الطيب والخلق الكريم ، والعقيدة الراسخة السليمة ، ويتضمن هذا المجال العديد من المناشط مثل : جماعة المسجد ، وجماعة المكتبة الدينية ، وجماعة الإذاعة المدرسية ، وجماعة الصحافة ، وجماعة التمثيل ، وجماعة الإنشاد الديني ، وجماعة الثقافة الدينية ، جماعة المعارض الدينية ، وجماعة الخطابة .

ويتميز النشاط عن التدريس بكونه غير مقيد بالرسميات ، حيث لا امتحان ، ولا كتب مقررة ، بل يمارس التلاميذ النشاط عن رغبة ومحبة وطواعية ، الأمر الذي قد يجعل للنشاط أثرا محمودا في نفوس التلاميذ ، هذا بالإضافة إلى أن موضوعاته ذات صلة قوية بالمجتمع ومشكلاته ، ومن ثَمَّ يمكن للنشاط أن

(١) سبق تخريجه .

يكون مجالا خصبا للتربية الدينية الإسلامية يستفيد منه معلمها في إثارة العديد من القضايا المرتبطة بالموضوعات المقررة في المنهج ، والتي لم يتمكن المدرس من استيفائها داخل الفصل ، كما يمكن لمعلم التربية الدينية الإسلامية أن يستغل وقت النشاط فيكلفهم بأنشطة من شأنها إثراء معارفهم المرتبطة بالمنهج المقرر .

سادسا : مبادئ التربية الدينية الإسلامية

تشتق التربية الدينية الإسلامية مبادئها من الإسلام ذاته ، لذلك فإن هذه المبادئ تستند إلى الدستور السماوي ، وتتخذ من التوحيد أساسا لها ، كما أنها تلتزم بقيم الإسلام ومبادئه وأخلاقياته ، فالإسلام يعد في جوهره دين تربية وتكوين وتهذيب وإصلاح للنفس البشرية ، وتطهير لها من الرذائل والفساد وكل ما يبعدها عن الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ (آل عمران:١٦٤) ، ويصور حديث جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة طرفا من هذا الإصلاح الديني الذي جاء به الإسلام للنفس الإنسانية حيث يقول : « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، وكنا كذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج . . . . . »[1].

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرءوف سعد ، ٢٩٠،٢٩١/١ ، مكتبة الكليات الأزهرية .

والمبدأ في حد ذاته هو بنية عقلية تتكون عندما يدرك المرء علاقة مفاهيمية معينة ، ويجد أنها تنطبق على أمثلة ومواقف متعددة ، والمقصود بمبادئ التربية الدينية الإسلامية التعميمات التي تصف العلاقات القائمة بين مفاهيمها المتصلة بموضوع معين . والمراجع لسنة رسول الله ﷺ سيجد أن الرسول ﷺ اتخذ في تعليم أصحابه منهجا حكيما ، كان هذا المنهج ولا يزال نموذجا فريدا للمعلم الناجح ، وقد اشتمل هذا المنهج على العديد من المبادئ التربوية التي استندت إليها التربية الدينية الإسلامية ، ومن هذه المبادئ ما يلي :

١- إثارة دافعية المتعلم للتعلم وتهيئة الجو الديني المناسب له :

لقد سبق المصطفى ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان التربية الحديثة التي نادت مؤخرا بضرورة إثارة الفرد المتعلم وتهيئته للتعلم قبل الدخول في العملية التعليمية ، فلقد كان المصطفى ﷺ كثيرا ما يعمل على تفتيح أذهان الصحابة لتلقي الحقائق العلمية بعد تشويق النفوس لها ، وتطلع العقول إلى معرفتها ، وذلك عن طريق استخدام أساليب عدة منها : طرح السؤال ، ولقد بوب الإمام البخاري في صحيحه بابا عنونه بـ « باب طرح المسألة على أصحابه ﷺ ليختبر ما عندهم من العلم» وأورد فيه حديث المصطفى ﷺ الذي رواه عبد الله بن عمر ، من أن النبي ﷺ قال : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، أي (لا في الصيف ولا في الشتاء) وأنها مثل المسلم ، حدثوني ما هي؟ قال : فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : فوقع في نفسي أنها النخلة ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال : هي النخلة »[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، ٣/١ كتاب : العلم ، باب : قول المحدث حدثنا أو أخبرنا ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

فالنبي ﷺ في الحديث لم يبدأ درسه بإلقاء الحقيقة العلمية التي تتمثل في أن المسلم كالنخلة ، إنما أراد أن يبدأ الدرس بإثارة عقول أصحابه ولفت أنظارهم إلى ما حولهم ، ومن ثَمَّ فهو يدعوهم إلى المشاركة معه في البحث حتى لا يصبح المتعلمون مجرد أجهزة تسجيل ليس لهم من الأمر إلا التلقي والحفظ والاستظهار ، وهذا من شأنه العمل على زيادة فاعلية العملية التعليمية ، وترسيخ المعلومات والمعارف في أذهان المتعلمين . . . فكأن النبي ﷺ في هذا الحديث يوجه أنظار المعلم إلى أن تلميذه إنما هو كائن حي عاقل يبحث ويفكر ويحاور ويناقش ويخطئ ويصيب ، ومن ثَمَّ فلابد من مشاركته في العملية التعليمية .

ومن ذلك ـ أيضا ـ قوله ﷺ لصحابته : « أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس من لا درهم له ولا متاع ، قال : المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصوم وحج ، ويأتي وقد شتم هذا ، وضرب هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه فطرح في النار »[1]، فلقد ابتدأ النبي ﷺ مجلسه هذا بالسؤال الذي من شأنه إثارة العقول .

وفي مجلس تعليمي آخر يبتدئ ﷺ مجلسه بطرح سؤال ـ أيضا ـ يثير به انتباه متعلميه فيقول ﷺ : « أي الخلق أعجب إليكم إيمانا؟ قالوا : الملائكة ، قال : « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟! قالوا : فالنبيون ، قال : وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟! قالوا : نحن ، قال : وما لكم لا تؤمنون وأنا

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، ٤٤١١/١٠ بتحقيق شعيب الأرناؤوط ، ص ٢٥٩ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م . والبيهقي في سننه الكبرى ٩٣/٦ تحقيق محمد عبد القادر عطا ، طبعة دار الباز بمكة المكرمة ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

بين أظهركم؟! فقال رسول الله ﷺ : ألا إن أعجب الخلق إليَّ إيمانا لقوم يأتون من بعدكم ويجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها»[1].

وهكذا نجد أن الرسول ﷺ ابتدأ مجلسه بسؤال أثار به عقول الصحابة ، ثم تلقى إجاباتهم ، وعلق على كل إجابة ، دون أن يذكر ما يريد بيانه لهم ، إلا بعد حوار ممتع ، حتى إذا تشوقت النفوس إلى معرفة الحقيقة طرحها ﷺ واضحة جلية .

٢- مخاطبة الناس على قدر عقولهم : (مراعاة نضج المتعلم عند التعلم) :

من المبادئ التربوية التي أقرتها التربية الدينية الإسلامية وارتكزت عليها ، مخاطبة المتعلمين على قدر عقولهم ، أو ما يمكن أن نقول عنه بلغة العصر مراعاة نضج المتعلم عند التعلم ، ومراعاة خصائص نموه العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية ، إذ لا يعقل أن يخاطب الصغير بما يصح أن يخاطب به الكبير ، لاختلاف مرحلة النمو التي يمر بها ، فالتلميذ في مرحلة الطفولة يعيش في المرحلة الواقعية ، أي لا يؤمن إلا بما هو محسوس ومشاهد ، ومن ثَمَّ فقدراته لا تستطيع استيعاب أي معلومة إلا إذا كانت مقرونة بالصورة ، أي إلا إذا قدمت في صورة محسوسة ، وهذا بخلاف المتعلم في مرحلة المراهقة ، فهو قادر على فهم المجردات لأنه انتقل من المرحلة إلى ما بعدها ، ولذلك لو قدمت له المعلومة مصحوبة بالصورة لسخر من هذا الأسلوب ، وهكذا يتضح أن لكل مرحلة تعليمية الأسلوب المناسب لها ، وهذا يقتضي أن تكون الخبرة

(١) عزاه ابن كثير إلى الحسن بن عرفة ، ونقل عن أبي حاتم الرازي أن المغيرة بن قيس أحد رواته منكر الحديث ، ولكن ذكر له شاهدا عن عمر مرفوعا عند أبي يعلى ، وابن مردويه ، والحاكم وصححه على أن فيه راويا ضعيفا ، وروى نحوه عن أنس ابن مالك مرفوعا « تفسير ابن كثير » ٤٢/١ ، طبعة عيسى الحلبي .

التعليمية المقدمة للفرد المتعلم قائمة على أساس فهم طبيعته وخصائص المرحلة العمرية التي يمر بها .

وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ من أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، فلقد كان ﷺ « يخاطب حضوره بما يدركون ، فيعلم البدوي الجافي ويفهمه بما يناسب جفاءه وقسوته ، ويعلم الحضري ويفهمه بما يلائم حياته وبيئته ، كما أنه كان يراعي تفاوت المدارك ، وانتباه أصحابه ، وقدرهم الفطرية والمكتسبة ، فتكفي منه الإشارة إلى الذكي »[1]. كما كان ﷺ لا يخاطب الصغير بما يخاطب به الكبير ، ولا يخاطب العوام بما يخاطب به الخواص ، ولا يخاطب المرأة بما يخاطب به الرجل ، ولا يخاطب البدوي بما يخاطب به الحضري ، بل لكل أسلوبه في الخطاب ، قال ﷺ : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم »[2] كما يتضح ذلك جليا في الحديث الذي رواه الإمام أحمد رضي الله عنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:« كنا عند رسول الله ﷺ فجاء شاب فقال : يا رسول الله : أقبل وأنا صائم؟ قال ﷺ : لا ، فجاء شيخ فقال : يا رسول الله أقبل وأنا صائم؟ قال نعم ، فنظر بعضنا إلى بعض! فقال رسول الله ﷺ : « قد علمت نظر بعضكم إلى بعض ، إن الشيخ يملك نفسه »[3].

ولعل العلة في اختلاف خطابه ﷺ لهذه الفئات العمرية المختلفة من أصحابه ترجع إلى الحرص على بلوغ الكلام لعقول السامعين وفهمهم له ، لأن عدم الوعي والفهم قد يكون فتنة لهم ، ويؤكد هذا قول الإمام علي كرم الله

---

(١) محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص٤٩ (القاهرة ، مكتبة وهبة) .

(٢) ورد في فيض القدير للمناوي ٣٧٨/٣ الطبعة الأولى ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٥٦هـ ، وقال : سنده كما قال ابن حجر « ضعيف جدا لا موضوع » ، وأخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٣٩٨ بتحقيق محمد السعيد بسيوني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦م .

(٣) رواه أحمد في مسنده ١٨٥/٢ .

وجهه ورضي عنه إذ يقول : « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله »[١] وكذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة »[٢].

يقول الإمام الغزالي : « إن من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره ، أو يخبط عليه عقله ، اقتداء بسيد البشر ﷺ ، ولا يبث إليه الحقيقة إلا إذا علم أنه يستقل بفهمها ، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه وأشار إلى صدره : « إن هنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة! فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى أحد . . . ويقول في موضع آخر رضي الله عنه : « إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ، ولا يذكر له : أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ، ويشوش عليه قلبه ، ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق! . . بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة . . »[٣].

٣- مراعاة حال المتعلم قبل التعلم :

ومن المبادئ الإسلامية التي أقرتها التربية الدينية الإسلامية ـ أيضا ـ مراعاة أحوال المتعلمين ، فلقد كانت « أجوبته ﷺ وفتاواه ووصاياه تختلف باختلاف أحوال المتعلمين ، فنجده مثلا يسأل : أي العمل أفضل؟ أو أي الإسلام أفضل؟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ١/٤٤ ، كتاب : العلم ، باب : من خص بالعلم قوما دون قوم كراهة ألا يفهموا .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/١٠ ، في المقدمة باب : النهي عن الحديث بكل ما سمع ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، ١/٥٧ ، ٥٨ بتصرف (القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي) .

فنراه يجيب هذا بغير ما يجيب به ذلك ، والسؤال الثاني كالأول وإن اختلفت الألفاظ ، لكن جواب الرسول ﷺ ليس واحدا ، قال ابن حجر : ومحصل ما أجاب به العلماء بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين بأنه أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه أو بما لهم فيه رغبة ، أو بما هو لائق بهم »[1].

ومن مراعاة حال المتعلم توزيع فترات التعليم كراهة السآمة ، فلقد كان ﷺ يوزع الموعظة على أصحابه على فترات ، فقد ورد عن أبي وائل قال : كان عبد الله (يعني ابن مسعود) يذكر الناس في كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت أن ذكرتنا كل يوم؟ قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم ، وأني أتخولكم (أي أتعهدكم) بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة »[2].

ومن مراعاة حال المتعلم استغلال وقت نشاطه ورغبته في التعلم بإشباع حاجاته ، فلقد كان ﷺ يستغل نشاط الصحابة ورغبتهم في التعلم وحاجتهم إليه ، فيجيب على تساؤلاتهم ، ويلبي رغباتهم ، ومن ذلك ما رواه الإمام أبو داود من أن رجلا أتاه ﷺ ينتف شعره وهو يقول هلكت يا رسول الله ، قال ﷺ ما شأنك؟ قال : وقعت على امرأتي في نهار رمضان! قال : ﷺ فهل تجد ما تعتق رقبة؟ ، قال : لا ، قال : فهل تجد أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال : لا ، . . . . الحديث »[3].

---

(١) عاطف أحمد آمان : منهج الرسول ﷺ في التعليم ، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد التاسع ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ص٣٥٣ ، ٣٥٤ بتصرف .

(٢) انظر فتح الباري ١/١٧٢ ، ١٧٣ ، صحيح البخاري١/٢٧ كتاب : العلم ، باب : ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، كتاب : الصيام ، باب : كفارة من أتى أهله في شهر رمضان ، ح ٢٣٩٠ .

٤- التركيز على جانب القدوة في التربية :

التربية عن طريق القدوة من المبادئ السامية التي ارتكزت عليها التربية الدينية الإسلامية ، فلقد صرح بها القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١) ، والرسول ﷺ دعا الناس إلى الله تعالى بأخلاقه كما دعاهم بأقواله ، فلقد ثبت في كتب السيرة والسنة أن كثيرا من غير المسلمين من آمن بالله ربا وبسيدنا محمد نبيا ورسولا وبالقرآن دستورا وبالكعبة قبلة لمجرد أن شاهدوا سلوكيات سيدنا رسول الله ﷺ ، ولذلك فطن سلفنا الصالح إلى التربية بالقدوة حيث جاء في وصاياهم ضرورة أن يكون المعلم قدوة لتلاميذه في أقواله وأفعاله وتصرفاته وجميع سلوكياته ، فهو لم يك مجرد ناقل للمعرفة فقط ، جاء في وصية «عتبة بن أبي سفيان» لـ «عبد الصمد» مؤدب ولده : «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينيك ، والحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت» ، كما لم يغفلوها في أشعارهم ، يقول الشاعر العربي :

يـــا أيهـــا الرجـــل المعلـــم غـــيره ... هـــلا لنفســـك كـــان ذا التعلـــيم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيمـــا يصـــح بـــه وأنـــت عليـــل
ونـــراك تصـــلح بالرشـــاد عقولنـــا ... أبدًا وأنت مـــن الرشـــاد عديـــم
ابدأ بنفسك فانـــهها عـــن غيهـــا ... فإذا انتـــهت عنـــه فأنـــت حكـــيم
فهناك ينفـــع مـــا تقـــول ويقتـــدى ... بـــالأمر منـــك ويفلـــح التعلـــيم
لا تنـــه عـــن خلـــق وتـــأتي مثلـــه ... عـــار عليـــك إذا فعلـــت عظـــيم

٥- التدرج في تربية النشء وتعليمهم :

يعد التدرج من سنن الله تعالى في الحياة والوجود الإنساني ، حيث شاءت إرادته تعالى أن يخلق الإنسان بطبعه لا يألف الانتقال من الشيء إلى نقيضه دفعة واحدة ، وقد راعت الشريعة الإسلامية ذلك في تشريعها فتعددت صور التدرج في الشريعة انتقالا من الأخف من التكليف إلى الأشد حتى تصل بالمكلف إلى ما لا يقبل غيره من التكليف ويترك سابقه ، ومن هذه الصور : التدرج في الدعوة ، والتدرج في وسائلها ، والتدرج في التكاليف بصفة عامة ، والتدرج في تحريم الربا ، والتدرج في تحريم الخمر ، والتدرج في التعليم .

والتدرج في التعليم من المبادئ التي حث عليها رسول الله ﷺ كثيرا ، وجاءت أحاديثه تدل وتؤكد على ذلك ، فمن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنه من أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال : « إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة ، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أموالهم فترد على فقرائهم . . . »[(١)].

وهكذا يتبدى لنا أن التدرج من المبادئ السامية التي أخذت بها التربية الإسلامية في مجال التربية والتعليم ، والتدرج في التعليم « ذو شقين ، شق يتعلق بالكم ، وشق يتعلق بالكيف ، فالأول يعني أن يعطى المتعلم من العلم المقدار الملائم له ، ولا يكثر عليه الأستاذ ، ويحمله ما لا يطيق ، فينوء به ويضيعه كله ، فهو يريد أن يعطيه الكثير كله دفعة واحدة ، فيضيع بذلك الكثير والقليل ، والعلم متين كالدين ، فيجب أن يوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، وفي هذا أوصى الزهري تلميذه يونس بن زيد فقال :

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/٥٠ كتاب : الإيمان ، باب : الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .

« يا يونس لا تكابر العلم ، فإن العلم أودية ، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ، ولكن خذه مع الأيام والليالي ، ولا تأخذ العلم جملة ، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ، ولكن خذ الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي » والشيء الثاني في التدرج هو ما يتعلق بالكيف والنوع على معنى أن يبدأ الأستاذ مع طلابه بالجلي من العلم قبل الخفي ، والبسيط قبل المركب ، وبالخفيف قبل الثقيل ، والجزئي قبل الكلي ، وبالعملي قبل النظري[1].

٦- الاستعانة بالوسائل التعليمية كلما أمكن ذلك :

من المبادئ التربوية ذات الأهمية للتربية الدينية الإسلامية ضرورة الاستعانة بالوسائل التعليمية كلما أمكن ذلك ، فالوسائل التعليمية من شأنها توضيح المفاهيم والمعارف والحقائق العلمية . . . وقد ذكر كثير من الباحثين أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة استخدما مجموعة من الوسائل التدعيمية من أجل توضيح الفكر الإسلامي ، ومن هذه الأساليب : أسلوب القصة ، وأسلوب التشبيه التمثيلي ، والاستعانة بالصور المحسوسة لتقريب المعاني المجردة والأمور الغيبية ، كذلك عرض الآيات لكثير من النماذج التي توضح مدى أهمية استخدام الوسيلة التعليمية في توضيح المفاهيم والحقائق ، ومن ذلك موقف الغراب الذي أرسله الله تعالى لتعليم قابيل كيفية التخلص من جسمان أخيه المقتول ، قال تعالى : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ (المائدة:٣١) ، ومن ذلك ـ أيضا ـ ما قام به ذو القرنين من درس عملي يعلم به مَن كانوا بين السدين كيفية عمل السدود ، قال تعالى : ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ (الكهف:٩٦).

(١) عاطف أحمد آمان ، منهج الرسول ﷺ في التعليم ، مرجع سابق ص ٣٣ .

وإذا كانت البيئة على عهد رسول الله ﷺ ـ كما يقول عاطف أحمد آمان ـ لم تكن تساعد على توفير الوسائل ، والرسول نفسه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، إلا أن الذي يهمنا هو تقرير المبدأ والفكرة أولا ، وتطبيقها في الحدود المتاحة ثانيا ، ومن الأمثلة على ذلك : ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه حيث يقول : « خط رسول الله ﷺ خطا بيده ، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيما » وخط عن يمينه وشماله ثم قال : « هذه السبل ليس منها من سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه »[1] ثم قرأ ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (الأنعام:١٥٣).

فنرى في هذا الحديث أن النبي ﷺ يفسر لأصحابه الوصية الأخيرة من الوصايا العشر في سورة الأنعام ، لكنه لم يقتصر على تفسيرها بالكلام المجرد بل استعمل لذلك ما هو ميسور له وهو الرمل يخط عليه بيده بدل اللوح وهو هنا يرسم صراط الله مستقيما المذكور في الآية الكريمة في صورة خط مستقيم، ولهذا قال : « هذا سبيل الله مستقيما » ، ويرسم السبل الأخرى التي حذرت الآية من اتباعها في صورة خطوط متعرجة عن يمين الخط الأوسط المستقيم وشماله ، ثم يشير إليها قائلا : « هذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم يختم هذا التوضيح العملي بقراءة الآية الكريمة فتقع أعظم موقع في نفس السامع المشاهد وعقله ، فهنا اشتراك البصر مع السمع في استيعاب معنى الآية ، وفهم مراد الله تعالى منها[2].

٧- الجمع بين الجانب النظري والعملي في التربية :

من المبادئ التي استندت إليها التربية الدينية الإسلامية والتي اتضحت جلية من خلال الحديث عن طبيعة هذه المادة ، مبدأ الجمع بين الجانب النظري

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/١١٠ ، ١١١ ، عن عبد الله بن مسعود .
(٢) عاطف أحمد آمان : منهج الرسول ﷺ في التعليم ، مرجع سابق ص ٣٦٨ .

والجانب العملي ، فلو رجعنا إلى الوراء لنرى التربية التي اعتمدها النبي ﷺ في حياته سنجدها لم تكتف بالأقوال النظرية فحسب ، إنما كان للعمل فيها الدور الأكبر ، ويكفي أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه بالمثال العملي ، ولعل في ما ذكرنا سابقا من آثار دليل واضح على صدق ما نقول ، قال ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي »(١) وقال : « خذوا عني مناسككم »(٢)، كما كان يصوب أخطاء صحابته في ممارستهم لأعمالهم ، ومن ذلك قوله لأحد صحابته الذين لم يحسنوا أمامه الصلاة : « صل فإنك لم تصل »(٣)، وفي مجال آخر قال : « قل آمنت بالله ثم استقم »(٤).

والنبي ﷺ في ذلك إنما هو يطبق ما دعا إليه القرآن الكريم ، فالقرآن لم يذكر ولو في آية واحدة الإيمان النظري دون ذكر العمل الصالح التابع له ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ﴾ (الكهف:١٠٧) ، كما دعا إلى العمل في أكثر من موضع ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصف:٢،٣) ، وقال : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (البقرة:٤٤) ، وهكذا يتضح أن الجمع بين الجانب النظري والجانب العملي هو أحد المبادئ التربوية الإسلامية السامية ، والتي اعتمدت عليه التربية الدينية الإسلامية منذ نشأتها وحتى يومنا هذا .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، ٤٣٨/١٠ كتاب : الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم ، عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، ٢١٨/٣ ، ٣٦٦ بلفظ خذوا مناسككم .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، ٧٢٤/١ كتاب : صفة الصلاة ، باب : وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها . .ص٣٤٧ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : جامع أوصاف الإسلام ، ح رقم ٣٩ .

٨- التركيز على التربية الشاملة للفرد المتعلم :

من المبادئ التربوية التي ركزت عليها التربية الدينية الإسلامية تربية الفرد تربية إسلامية شاملة في جميع النواحي الجسمية والعقلية والوجدانية والانفعالية والاجتماعية والسلوكية ، ويأتي هذا انطلاقا من اهتمام الإسلام بهذه الجوانب معا ، فلو تصفحنا آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي العظيم عليه الصلاة والسلام سوف نجدها تهتم بهذا الجانب أيما اهتمام ، انطلاقا من أن المعرفة وحدها لا تكفي ، ومن ثَمَّ فلابد من الوجدان والسلوك ، فما قيمة العلم بلا عمل؟ وما قيمة المعرفة بلا سلوك ، قال تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ** ﴾ (الزلزلة:٧،٨) ، وقال ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم »[(١)]. والإسلام كذلك اهتم بالجوانب الوجدانية حيث بين سبحانه في كتابه جميع ما يعتري النفس الإنسانية من طموح وآمال ووساوس ومخاوف ، ووضع لكل هذه المشاعر ما يناسبها ، كما دعا الإسلام إلى مقام الإحسان وهو مراقبة الله عز وجل في جميع ما نؤدي من أعمال ، كما دعا إلى الربط بين القلب والإيمان ، وإلى تعظيم شعائر الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** ﴾ (الحج:٣٢) ، كذلك اهتم الإسلام بالدعوة إلى التركيز على العوامل الداخلية والشعور بالمسئولية أكثر من الضبط الخارجي ، قال ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : جامع أوصاف الإسلام ، ح رقم ٣٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، ١٩٨٧/٤ ، كتاب : البر ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ١٣٨٨/٢ ، كتاب : الزهد ، باب : القناعة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

سابعا : وسائل التربية الدينية الإسلامية

من خلال مسح الكتب التي تناولت طرق تدريس التربية الدينية الإسلامية تبين لنا أن بعض تلك المصادر تناولت موضوع وسائل التربية الدينية الإسلامية بشيء من العمومية ، كما تبدى ـ أيضا ـ عدم اتفاق هذه المصادر حول هذا المفهوم ، ولعل ذلك يرجع إلى رؤية كل مؤلف ، حيث يرى البعض أن المقصود به وسائل ومقومات نجاح التربية الإسلامية بمفهومها العام ، في حين نظر إليه البعض الآخر أن المقصود منه الوسائل المعينة والمساعدة في تعليم فروع التربية الدينية الإسلامية ، فمما نحا المنحى الأول «محمد صالح سمك ١٩٧٣م» حيث يرى أن وسائل التربية الإسلامية ومقوماتها تنحصر في :

١- ربط دروس الدين بحياة التلاميذ الواقعية .

٢- إحاطة دروس الدين بجو من التقدير والخشوع والإجلال .

٣- العمل على إثارة الجوانب الوجدانية للتلاميذ في أثناء الدروس .

٤- بذل الجهد لتوسيع مجال النشاط الديني خارج الفصل .

٥- جعل المناسبات الدينية والوطنية فرصة لتنمية الروح الدينية وإثارة مشاعر التلاميذ وإيقاظ وجدانهم .

٦- القدوة الصالحة .

٧- إبراز مواطن العبرة وجوانب الخير والفضيلة فيما يعرض على التلاميذ .

٨- أخذ التلاميذ بأداء الفرائض والواجبات الدينية منذ الصغر .

٩- الاتجاه العملي في تدريس الموضوعات الدينية الصالحة لذلك .

١٠- إيجاد جو من الألفة والمحبة بين المدرس والتلاميذ ليطمئنوا إليه ويثقوا به .

١١- الاستعانة بالأناشيد الدينية في غرس الروح الدينية في التلاميذ .

١٢- قيام التلاميذ بتمثيل بعض المسرحيات الدينية القصيرة في المناسبات المختلفة .

١٣- تخصيص فترات حرة لمناقشة مشكلات التلاميذ وبحثها وعلاجها بهدي الدين .

١٤- العناية بتحفيظ التلاميذ قدرا كافيا من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية مع فهمهم معناها فهما جيدا .

١٥- التركيز على الغذاء الروحي في ثقافة الشباب الدينية .

١٦- الانتفاع بروح الإسلام في توضيح الشئون الدينية الاجتماعية .

١٧- إتاحة الفرصة أمام التلاميذ كي يقوموا بكتابة بعض المقالات والبحوث الدينية وإلقاء بعضها على زملائهم في شكل محاضرات .

والواقع أن المراجع لهذه النقاط والمدقق فيها سوف يجد أنها على الرغم من أهميتها وشمولها في محاولة حصر هذه الوسائل والمقومات ، إلا أن بعضها يندرج تحت مبادئ التربية الدينية الإسلامية ، وبعضها الآخر يندرج تحت خصائص التربية الإسلامية ، بمعنى أن هناك خلطا واضحا وملحوظا بين وسائل ومقومات نجاح التربية الإسلامية بمفهومها العام ، وبين مبادئ التربية الدينية الإسلامية ، وخصائصها .

ومن أصحاب هذا الاتجاه أيضا « إبراهيم عطا » « ١٩٩٦م » حيث حصر الوسائل في : اختيار الزوجة ، وتحري الجانب الديني في حالة الزواج ، وغرس عقيدة الإيمان بالله لدى النشء ، وتوجيه النشء بالحكمة والنصح ، وتحري الحلال والابتعاد عن الحرام في كل شيء ، والقدوة الحسنة ، والتكرار ، والترغيب ، والترهيب ، وسد الذرائع[١] .

(١) إبراهيم محمد عطا : طرق تدريس التربية الإسلامية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٦م) ص ص ٨٦-١٠٠ .

والواقع أن هذا الكلام يحتاج إلى إعادة نظر ، وإلى تدقيق ، فهو على الرغم من أنه فيه شيء من العمومية المطلقة ، إلا أنه كذلك يتضمن أهدافا للتربية الدينية الإسلامية ، كما يتضمن مبادئ للتربية الدينية الإسلامية ، كما يتضمن قواعد فقهية أو ما يمكن أن نقول عنه بأنه مصادر ثانوية للشريعة الإسلامية ، أي أن هناك خلط واضح بين الأهداف والمبادئ والمصادر والوسائل .

وحاول « صلاح الدين مجاور » (١٩٩٤م) التعرض لهذا الموضوع فحصر وسائل التربية الإسلامية في : الأنشطة المختلفة ، والكتاب المدرسي، والمسجد ، واستغلال البيئة ، والوسائل التعليمية، والقدوة ، وشيوع الجو الديني . وهو في هذا حاول الجمع بين وسائل التربية الإسلامية بمفهومها العام ، وبين الوسائل التعليمية في التربية الدينية الإسلامية ، أي الوسائل المعينة لتعليم فروع التربية الدينية الإسلامية . وعلى الرغم من جودة عرضه إلا أنه ينبغي إعادة النظر في إفراده نقطة الكتاب المدرسي على الرغم من أنها تندرج ضمن الوسائل التعليمية .

وقد قدم « فتحي يونس » (١٩٨٤م) توضيحا للأمر مبرزا أن ارتكاز التربية الإسلامية على القرآن والسنة جعلاها تمتاز بضرب خاص من التربية في أهدافها ووسائلها عن ألوان التربية الأخرى التي سادت حضارات شتى على مر الزمان ، ومن ثَمَّ عدَّد مجموعة من الوسائل التي ارتأى أنها تساعد المدرسة في أداء مهمتها في التربية الدينية ، ومن هذه الوسائل : الأسرة ، والقدوة الحسنة ، والاتصال بالبيئة وبما فيها من مؤسسات ، والوسائل التعليمية .

ولما كان الأمر كذلك فإنَّا قد عزمنا على تحرير هذه المسألة ، وذلك بعرض وسائل ومقومات نجاح التربية الإسلامية بمفهومها العام ، والوسائل التعليمية في التربية الدينية الإسلامية على الوجه التالي :

١- وسائل ومقومات نجاح التربية الإسلامية :

أ- المسجد :

المسجد هو المؤسسة التربوية الأولى في الإسلام ، ولقد تعددت وظائفه في تاريخ الدولة الإسلامية ، فلقد كان على عهد رسول الله ﷺ مكانا للعبادة ، ومدرسة تعليمية لتعليم أبناء الأمة أمور دينهم ، ومؤسسة اجتماعية ترعى الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل . . ، ومكانا لاستقبال الوفد ، ومكانا لعقد الألوية الحربية . . .

ب ـ الكتّاب :

يعد الكتّاب أحد مؤسسات التربية الدينية الإسلامية التي اعتمدت عليه طويلا ، ولقد أقامته الأمة من أجل تحفيظ أبنائها القرآن الكريم وتعليمهم مبادئ القراءة والحساب ، فنجحت هذه المؤسسة في مهمتها نجاحا منقطع النظير ، حيث خرجت أجيالا من حفظة كتاب الله تعالى ، والمجيدين للقراءة والكتابة ، في وقت كانت فيه المدرسة لم تعرف بعد ، ولكن لما عرفت المدارس زاحمت الكتاتيب في مهمتها فبدأت الكتاتيب تنقرض في بعض البلاد ، وانقرضت تماما في البعض الآخر .

ج ـ الأسرة :

الأسرة هي اللبنة الأولى في تأسيس المجتمع ، وهي إحدى مؤسساته المهمة في التربية ، حيث تعد المؤسسة الأولى التي تستقبل الطفل ، والتي يعيش الطفل معها سنوات عمره الأولى ، التي تتشكل فيها معالمه ، ويكتسب فيها العديد من الصفات ، كما تعد الأسرة ذات أهمية قصوى في إكساب الطفل المفاهيم الدينية اللازمة والمعايير الأخلاقية المطلوبة وتنميتها ، وهذه المفاهيم قد تكون حسية وقد تكون مجردة وغامضة أحيانا أخرى ، ويحصلها الطفل من أسرته

عن طريق الخبرة المباشرة ، أي أن مفاهيم الطفل تحدد بالظروف المختلفة المحيطة به ، كذلك تنمو المفاهيم الدينية عن طريق الخبرات غير المباشرة ، ومن أمثلة الخبرات المباشرة اصطحاب الطفل للمسجد ، والرحلات ، . . . ومن أمثلة الخبرات غير المباشرة القراءة ومشاهدة التلفاز . . . .

د ـ استغلال البيئة :

لقد ذكرنا سابقا أن البيئة تعد بمثابة كتاب مفتوح للمعلم ، والطلاب لهم أن يختاروا منها ما يشاءون من أجل توضيح مادة التربية الدينية الإسلامية ، وكثيرا ما استخدم القرآن الكريم البيئة المادية الماثلة أمام الناظرين في لفتهم إلى قدرة الله تعالى وبديع صنعه ، ثم حاورهم في خلقها ، هل من خالق غير الله يصنع هذا؟ وهكذا دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى عن طريق الإقناع العقلي ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج:٣٢) ، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية:١٧-٢٢) ، وقوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم:٣٢-٣٤) وهكذا يمكن لمعلم التربية الإسلامية استغلال البيئة المادية والطبيعية من حوله في تدريس مادته خصوصا ما يتعلق منها بالعقيدة الإسلامية .

هـ ـ القدوة وشيوع الجو الديني :

القدوة هي من الوسائل العامة التي يمكن لمعلم التربية الدينية الإسلامية الارتكاز إليها في تدريس مادته ، ومعروف أن التربية الدينية الإسلامية ليست

كغيرها من المواد الأخرى ، ومعلمها ليس مجرد ناقل معرفة ، إنما هو يغرس قيما ويعدل من الاتجاهات ويكسب ميولا ورغبات ، وكثيرا ما يفعل ذلك عن طريق القدوة أكثر منه عن طريق القول ، فبالتزامه يلتزم التلاميذ ، لأن أعينهم معقودة بعينه ، فالحسن عندهم ما استحسن والقبيح عندهم ما استقبح .

٢- الوسائل التعليمية في التربية الدينية الإسلامية :

أ ـ الكتاب المدرسي :

يعد الكتاب المدرسي الإسلامي هو الوعاء الذي يتضمن محتوى مادة التربية الدينية الإسلامية بما تحتويه من خبرات معرفية ووجدانية ومهارية ، ويكتسب الكتاب المدرسي أهميته من أهمية المحتوى الذي يمثله ، ومن ثَمَّ أصبح الكتاب المدرسي يشكل عنصرا مهما من عناصر المنهج ، وعلى الرغم من أن التركيز في المنهج في كثير من الدول خاصة المتقدمة تحول إلى النشاط الذي يقوم به التلميذ باعتبار أن هذا النشاط يعد هو المصدر الأساسي لاكتساب المعلومات والمهارات وتكوين العادات والاتجاهات . . . . إلا أنه يبقى للكتاب دوره الذي لا ينكر في العملية التعليمية فهو العنصر الفعال والأساسي فيها .

ب ـ لوحات العرض :

تتعدد لوحات العرض وتتنوع ، فهناك ما يعرف بالسبورة الطباشيرية وهي أقدم أنواع لوحات العرض ومعروفة لدى جميع المعلمين ، ولها استخدامات عديدة منها كتابة موضوع الدرس عليها ، وكذلك عناصره ، وكذلك مناقشة التلاميذ في جوانبه ، وكذلك كتابة الملخص السبوري عليها .... وهناك السبورة المغناطيسية المصنوعة من الحديد لتجذب الأشياء الممغنطة إليها ، ولها استخدامات عدة منها أنها يمكن الكتابة عليها بالطباشير أو الأقلام الملونة ، كما

يمكن تثبيت الأشياء الممغنطة عليها . . . . وهناك السبورة الوبرية وهي سبورة عادية مغطى أحد أسطحها بمادة وبرية ، ولها استخدامات منها عرض المادة التعليمية التي يريد المعلم عرضها ، ولكن يشترط في المادة التعليمية أن يغطى ظهرها بمادة مشابهة للوبر حتى يسهل لصقها على السبورة الوبرية .

ج ـ الصور والرسوم الخطية :

لم تعد الصور والرسوم الخطية تستخدم في الكتب المدرسية لمجرد الزخرفة وجذب انتباه التلاميذ إلى محتوى الكتاب اللفظي كما كان شائعا في القديم ، إنما أصبح لها دور أساسي في العملية التعليمية يكمن في توصيل الأفكار ـ خاصة المجردة منها وكذلك الجديدة ـ إلى التلاميذ ، فمن المعروف أن الأفكار التي يكونها التلاميذ عن شيء ما عادة ما تكون ناقصة مهما أتعب المدرس نفسه في شرحها ، بسبب أن كل تلميذ يتصورها بحسب خبراته وتخيلاته ، في حين يحسم الأمر تماما لو استخدم المعلم صورة لهذا الشيء الذي يتحدث عنه .

وتتنوع الصور الثابتة فمنها الصورة الفوتغرافية التي تعني حبس ظل الشيء المراد تصويره بأداة معينة تعرف بالكاميرا ، ومنها الرسوم الخطية كالرسوم التي يقوم بها معلم التربية الدينية الإسلامية أثناء شرحه لدروس المادة ، ومن ذلك رسم تخطيطي يوضح خط سير الهجرة المباركة ، ومنها كذلك رسم تخطيطي يوضح غزوة بدر ، أو غزوة أحد ، أو غزوة حنين . . . ومن الصور الثابتة أيضا الرسوم البيانية كالتي تبين عدد الحجاج على مدى عشر سنوات أو غير ذلك .

وتهتم الصور عادة بتوضيح المكان والطول والعرض والأبعاد الأخرى ، كذلك فإنها توضح المشاعر والحالات النفسية والمعاني المجردة ، فالاطمئنان في الركوع والسجود يمكن توضيحه بالصورة ، وربما لا يمكن توضيحه

لصغار التلاميذ إلا بها ، وكذلك الخشوع في الصلاة ، وشفقة الآباء على الأبناء ، وتوقير الصغار للكبار ، وهناك أمور كثيرة في التربية الدينية الإسلامية يلزم توضيحها بالصورة كأعضاء الوضوء وحدودها ، وربما لا يعرف كثير من الناطقين بغير العربية الكوعين ، والكعبين ، والسرة ، كما يمكن أن يكون ليس لديهم تصور واضح عن الكعبة ، والحجر الأسود ، ومقام إبراهيم ، وحجر إسماعيل ، والصفا والمروة ، ومكان رمي الجمرات ، ومنى ، ومزدلفة ، وعرفة ، ومهما أطال المدرس في شرح هذه الأماكن بالكلمات والعبارات فإن الصور تكون أكثر تعبيرا منها[1].

وتجدر الإشارة إلى أنها لكي تؤدي الصورة دورها في العملية التعليمية فإنها يشترط فيها ألا تكون مزدحمة بالأفكار بل ينبغي الاقتصار على فكرة واحدة ، كما ينبغي أن تكون جميلة وجذابة ومشوقة ، وأن تعمل على توصيل الفكرة بسهولة ويسر ، وأن تتيح فرصة للتأمل فيها .

د ـ الخرائط :

الخرائط إحدى الوسائل التعليمية التي تهتم بتقريب الأماكن والبلاد البعيدة إلى ذهن التلاميذ ، كما تتيح لهم تقريب القديم ، ويحتاج التعامل مع الخريطة من التلاميذ معرفة رموز المكان والاتجاه والبعد والانخفاض والارتفاع . . . حتى يكون من السهل عليهم تفسير محتويات الخريطة ، ومن المفيد أن نذكر هنا بأن الخرائط يمكن أن تعين معلم التربية الدينية الإسلامية في وضع تصور خطط الغزوات التي وردت في القرآن الكريم ، ورحلات المجاهدين المسلمين هنا وهناك ، كما تؤدي دورا مهما في توضيح الآيات التي تتناول هذه المعركة أو تلك ، وهذا المكان أو ذاك ، وفق تحديد المفاهيم المختلفة المتعلقة بالمكان .

---

(١) إبراهيم محمد الشافعي : التربية الإسلامية وطرق تدريسها ص٢٩٥ ، ٢٩٦ (الكويت ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ١٩٨٩م).

هـ ـ المسجلات الصوتية :

المسجلات الصوتية إحدى الوسائل التعليمية السمعية التي تؤدي دورا مهما خاصة فيما يتعلق بتعليم القرآن الكريم ، حيث يعتمد تعليمه على الاستماع إليه متلوا، لما له من خصائص يتميز بها عن غيره من المواد المقروءة الأخرى، ففواتح السور التي تستهل بالحروف الهجائية يصعب قراءتها لغير المتقنين للتلاوة ، فمن ذا يستطيع أن يقرأ بداية سورة الشورى (حم عسق) ، ومن يستطيع قراءة صدر سورة مريم (كهيعص) وغيرهما من فواتح السور المبدوءة بالهجاء ، وعلاوة على هذه البدايات فالقرآن الكريم يشتمل على أحكام تجويدية مثل الوقف والإدغام والإظهار والإمالة والمدود وغيرها ، وكلها أحكام تحتاج إلى السماع والتلقي والتدريب على أدائها بصورة صحيحة ، والتجربة أثبتت أن الذين يتقنون تلاوة القرآن الكريم هم هؤلاء الذين استمعوا إليه متلوا وتلقوه تلقينا ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴾ (النمل:٦) .

ومما لا شك فيه أن الصغار يحفظون الآيات القرآنية حين يستمعون إليها حتى ولو كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة ، كما أنهم يجيدون أداء نطق الآيات وتلاوتها ملتزمين بأحكام التجويد والتلاوة دون أن يكونوا على علم بالمعارف المرتبطة بهذه الأحكام ، ولهذا نحتاج في تعليم القرآن الكريم إلى معلم للتربية الدينية الإسلامية متقن للتلاوة وأحكام التجويد ، ولما كانت نوعية هذا المعلم مفتقدة في أحيان كثيرة بسبب بعض الخلل في إعداده ، فقد أصبحت الحاجة ماسة إلى استخدام المسجلات لمشاهير القراء ، ولا يخفى علينا أن المسجلات الصوتية لها فاعليتها في مساعدة التلاميذ على صحة النطق وحسن الترتيل ، ومن ثَمَّ سرعة الحفظ .

و ـ أشرطة الفيديو :

تعد أشرطة الفيديو بما تحمله من عوامل الجذب والإثارة إحدى المواد التعليمية ذات القيمة العالية في التربية الدينية الإسلامية ، إذ عن طريق استخدامها يمكن إبراز جوانب عظمة الله تعالى وقدرته في خلقه ، من خلال عرض الأجرام السماوية وكيفية تسييرها في نظام دقيق ملفت للتأمل والتبصر فيه ، أو من خلال عرض ما هو موجود في باطن البحار من مخلوقات لله تعالى ، أو غير ذلك مع التعليق عليها وربط ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، أو ما يطلق عليه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ويمكن لمعلم التربية الدينية الإسلامية استغلال مثل هذه الأشرطة في شرحه لدروس العقيدة الإسلامية ، وتحريك وجدان التلاميذ ، واستغلال ذلك في حثهم على التمسك بدينهم وأخلاقياته المثلى .

ز ـ الأفلام التسجيلية :

مما لا شك فيه أن للأفلام التسجيلية آثارها في تقريب المعاني والمدركات وتوضيحها وإعطائها صورة حية ، كما لها دورها الذي لا ينكر في تقليل ما نسميه باللفظية ، أي الاعتماد فقط على اللغة وحدها ، والأفلام التسجيلية يمكن أن تفيد في توضيح الآيات القرآنية المتعلقة بمناسك الحج ، كما يمكن أن تفيد في نقل صورة حية لأداء الفريضة نفسها ، كما يمكن أن تفيد في شرح الآيات الكونية الدالة على قدرة الله تعالى ، أو ما يسمى بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم . . . .

ح ـ النماذج والمجسمات :

يعد النموذج هو مثالا مصغرا أو مكبرا وتقليدا للشيء المراد تعلمه ، وغالبا ما يكون مصنوعا من مواد مختلفة مثل البلاستيك أو الخشب أو الجبس ،

أو الزجاج أو الصلصال ... وللنموذج خصائص متعددة منها أنه « يصغر الشيء الكبير أو يكبر الشيء الصغير ليصير الحجم ملائما للملاحظة والفحص ، كما أنها تمكن من مشاهدة الأجزاء الداخلية التي تكون عادة مغطاة أو غير مرتبة ، كما أنه يمكن حذف الأمور غير الجوهرية لتبقى الأمور الأساسية ، فتمكن ملاحظتها بسهولة ووضوح ، كما أنه يبرز الأجزاء المهمة ، كما يمكن حل أجزاء النموذج وإعادة تركيبه »[1].

وتعد الخبرة التي يعطيها النموذج أو المجسم خبرة بديلة أو ما يمكن أن نطلق عليها خبرة عوض عن الخبرة المباشرة ، ومن النماذج التي يمكن استخدامها في التربية الإسلامية نموذج للكعبة أو لأي معركة من المعارك الإسلامية ، فهذه النماذج تغني عن كثير من الشرح والتوضيح ، علاوة على تعرف التفاصيل المختلفة لتلك المعالم ، ولعل أهمية النماذج والمجسمات تضيف إلى وسائل التعليم استخدام حاستي البصر واللمس إضافة إلى استخدام اللغة وحاسة السمع ، ومن المعلوم أنه كلما زادت الحواس المشتركة في عملية التعلم زادت معها معارف التلميذ وتعمقت مفاهيمه المتعلمة .

ط ـ الزيارات الميدانية :

وهي الزيارات الخارجية بعيدا عن حجرات الدراسة والمرتبطة بأهداف تتعلق بدروس التربية الدينية الإسلامية ، ومن أمثلتها الزيارة للحدائق العامة والحقول والمزارع ، ومن خلالها يشعر التلاميذ ببعض من صفات الله عز وجل كالخلق والقدرة ولا يخفى علينا ما للرحلات التعليمية من أهمية تكمن في تزويد التلاميذ بخبرات يصعب الحصول عليها من خلال التدريس داخل الفصل ، كما تجعل التلاميذ يدركون العلاقة بين ما يدرس في حجرة الدراسة

(١) مصطفى بدران ، وإبراهيم مطاوع ، ومحمد عطية : الوسائل التعليمية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٩م) ص٦٨ ، ٦٩ .

وما هو خارجها ، ومن ناحية أخرى فهي تتيح للمتعلمين دراسة الحقائق والمفاهيم بصورة واقعية متكاملة وذلك من خلال مشاهداتهم لبعض الظواهر الطبيعية والبشرية أثناء الزيارة ، كما تساهم الرحلات في تنمية شخصيات المتعلمين وتزويدهم بصفات الصبر والنظام والتعاون وتكسبهم اتجاهات وقيما مرغوب فيها .

ي ـ التمثيل :

« التمثيل لون من ألوان التعبير المحبب إلى التلاميذ ، يشوقهم ويبعث السرور في نفوسهم ، ويستميل عواطفهم ، ويحبب إليهم المادة ، ويوحي إليهم بكثير من المبادئ والمثل »[1] كما أنه يبرز المعنى أو المحتوى الفكري للقصة أو الخبر ، ويدرب التلاميذ على جودة الإلقاء ، وتمثيل المعاني ، ومواجهة الجماهير ، كذلك فإن للتمثيل دورا مهما في الإحاطة بجميع الظروف والخلفيات التاريخية للقصة أو الخبر ، وفي إثارة حماسة التلاميذ وجذب انتباههم .

وللتمثيليات فوق هذا مزايا عديدة منها :

ـ التمثيل من أهم الوسائل التي تستخدم لتحقيق ما يسمى بالهدوء النفسي أو الرضا ، ولتحقيق المتعة ، وتقليل الاضطرابات .

ـ تعويد التلاميذ ممثلين ومتفرجين على أن يؤدوا أعمالهم متعاونين في سبيل تحقيق هدف مشترك .

---

(١) جابر عبد الحميد جابر وعبد الله فكري العريان وإدريس محمد زايد : الطرق الخاصة بتدريس التربية الدينية الإسلامية (القاهرة ، وزارة التربية والتعليم١٩٧٣م) ص٧٤.

ـ التعبير عن الذات ، وإجادة النطق ، والإلقاء ، والتحكم في الصوت وتعبيرات الوجه . . إلخ .

ـ إثارة الانتباه ، والحماسة وتتبع الموضوع بشغف واهتمام .

ـ تحديد الإطار الزماني والمكاني والثقافي . . . للموضوع أو الحادثة المعروضة .

ثامنا : خصائص التربية الدينية الإسلامية

تتميز التربية الدينية الإسلامية ببعض الخصائص منها :

١- الطبيعة الإلهية :

فالعقائد الإسلامية والعبادات والمعاملات والسيرة والأخلاق وبقية جوانب التعلم في التربية الدينية الإسلامية كلها تعتمد على القرآن الكريم المصدر الإلهي ، كما تعتمد على سنة رسول الله ﷺ الإلهية المصدر أيضا ـ عن طريق الإلهام أو الوحي في المنام ، وهذه السنة صنو القرآن في التشريع وإن كانت دونه في الثبوت والوحي بها ، قال ﷺ « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بساحة قوم فعليهم أن يقروهم ، فإن لم يقروهم فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم »[(١)].

ويترتب على هذه الطبيعة الإلهية أن أساسيات هذا الدين ثابتة وينبغي أن تقدم إلى النشء على أنها حقائق أو مبادئ لا تقبل الجدل أو المناقشة كما

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ٢/٥٠٥ .

ينبغي أن تقدم على أنها تتناسب مع نظرة الإنسان لأنه من لدن حكيم عليم ، وعلى أنها لا ترتبط بمكان أو زمان معينين .

٢- التكامل :

وتعني هذه الخاصية أن جوانب الدين الإسلامي متكاملة ، تتبادل التأثير ، ويتصل بعضها ببعض ، والتكامل له عدة معان منها : أن الجوانب العملية في الإسلام لا تصبح ذات معنى أو ذات قيمة إلا إذا سبقها اعتقاد أو نية طيبة ، قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »[(١)]، وهذا يعني ضرورة الانسجام بين العلم والعمل أو بين العقيدة والشريعة ، وضرورة الاتفاق بين الجوانب المختلفة للشخصية ، كما يعني التكامل أيضا أن الإسلام بجوانبه المختلفة يتناول الفرد من جميع أقطاره الفكرية والنفسية والجسمية بحيث يؤدي هذا إلى تكوين الفرد المسلم المتوازن ، كما يعني التكامل عدم التناقض بين جوانب العملية التربوية الإسلامية ، فأهداف التربية الدينية الإسلامية ومحتواها الذي يترجم هذه الأهداف مشتقان من مصادرها ـ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ـ كذلك فإن وسائلها تتسق مع أهدافها ومحتواها ، وعلى ذلك يوجد تكامل واتساق بين الأهداف والمحتوى والمصادر والوسائل ، وعلى القائمين على وضع المناهج ألا يغفلوا هذه الطبيعة التكاملية عند بناء مناهج التربية الدينية الإسلامية وتنظيمها وتدريس محتوياتها ، وذلك بتدريس فروع المادة ككل متكامل ، حيث يتم اختيار الموضوع الواحد من موضوعات التربية الدينية الإسلامية ، ويتم تناوله بطريقة مترابطة مع الاستدلال عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مع الاستفادة بمعطيات العلم الحديث في كافة المجالات حتى تتضح حكمة التشريع الإلهي .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/١ كتاب:بدء الوحي،ح١،عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٣- الواقعية :

الشيء الواقعي هو الذي يستريح إليه الإنسان لأنه يوافق فطرته ، ومن ثَمَّ يجد الإنسان له قبولا عند نفسه ، والتربية الدينية الإسلامية واقعية في طبيعتها لأن أحكامها المستمدة من الإسلام جاءت موافقة لطبيعة البشر في كل زمان ومكان ، فهي لم تكبت للبشر غريزة ، ولم تحجب عنهم مصلحة ، وفي نفس الوقت لم تطلق لهم العنان ليشبعوا غرائزهم بالمحرمات ، إنما جاءت أحكامها وسطا لا إفراط ولا تفريط ، حيث شرع الله الزواج لينظم غريزة الجنس ، وشرع الصوم ليكبح جماح النفس . . كذلك حرم الزنا والسرقة والقتل . . . ليحافظ على البشر ، ويحقق مصالحهم الفردية والاجتماعية ، ويحول دون فساد حياتهم ، كما شرع الحدود ليحدث بها الانزجار عما يتضرر منه البشر ، وبذلك يتحقق الأمن والأمان لهم .

ومن مظاهر واقعية التربية الدينية الإسلامية أنها راعت فطرة البشر في الميل إلى اللهو والترويح عن النفس ، فرخصت في أنواع اللهو كالسباق وألعاب الفروسية وغيرها إذا لم تقترن بقمار ولا بحرام ، ولم تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وخصوصا في المناسبات السارة كالأعراس والأعياد وغيرها .

ويترتب على هذا أن تكون مناهج التربية الدينية الإسلامية موافقة للطبيعة الإنسانية تعمل على تزكيتها وسلامتها وحفظها من الانحراف ، وأن تنمي القدرة على التفرقة بين الخير والشر ، والحق والباطل ، بحيث يستطيع الإنسان الاهتداء إلى ذلك دون توجيه خارجي ، قال ﷺ : « الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه غيرك »(١) ، كما ينبغي على المنهج أن يكون واقعيا ، أي ممكن التطبيق ، متناسبا مع إمكانات البلاد التي تريد تطبيقه ومع ظروفها ومتطلباتها .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٨٠/٤ كتاب : البر ، باب : تفسير البر والإثم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه .

٤- العالمية :

تتميز التربية الدينية الإسلامية بأنها تربية عالمية ، صالحة لكل زمان ومكان مهما اختلفت الأجناس والألسن ، وهي في ذلك تستمد عالميتها من عالمية الإسلام الذي قامت الأدلة على عالميته ، وعالمية كتابه ، وعالمية رسوله ، فالإسلام هو الدين الخاتم الذي لم يرتضِ الله دينا سواه ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ** ﴾ (آل عمران:١٩) وقال : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾ (آل عمران:٨٥) وكتابه ـ القرآن الكريم ـ كتاب عالمي احتوى على تصورات متكاملة عن جوانب حياة الإنسان ، وحوى إطارا للمعرفة والقيم ، وتصورات متكاملة عن المجتمع وغير ذلك مما يعتبر في التحليل النهائي إطارا عاما للحياة والتربية ، قال تعالى : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴾ (يوسف:١٠٤) ، وقال : ﴿ **تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ (الفرقان:١) .

ورسول الإسلام محمد ﷺ اصطفاه الله من بين خلقه ليكون للعالمين نذيرا ، قال تعالى : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وقال ﷺ : في سياق الحديث عما خصه الله به دون خلقه «أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي . . . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة»[(١)]، وأمته ﷺ من ورائه أمة عالمية ، همها دولي ، ودعوتها للبشرية كلها ، وما أخرجها الله تعالى إلا للناس آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه١/٤٣٥ ، ٤٣٦ كتاب : التيمم ، باب : قوله تعالى ﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا** ﴾ عن جابر .

﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (آل عمران:١١٠) ، وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٤٣) .

ويترتب على هذا ضرورة الاهتمام بإبراز عالمية الفكر الإسلامي ، وصلاحيته لكل زمان ومكان مهما اختلفت الأجناس والألسن ، فالتربية الدينية الإسلامية قادرة على أن تؤتي ثمارها في أي مجتمع ، لأنها تستند إلى منهج الله تعالى العليم الحكيم .

٥- الجمع بين الثبات والمرونة :

وتعني هذه الخاصية أن التربية الدينية الإسلامية تجمع بين الثبات الذي يعني قطعية الأحكام وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، والمرونة التي تعني اتساعها لتشمل حاجات العصر وتغيرات الحياة المتجددة .

فمن الأحكام القطعية التي لها صفة الدوام والثبات ولا يمكن أن تخضع لفكرة التغيير التي روجت لها التربية الحديثة ، جوانب العقيدة الإسلامية ، لأن الطبيعة الإلهية في هذه العقيدة أمر له مغزاه ، ومن نافلة القول أن نذكر أن الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات ، وأن القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن الأحكام الثابتة والمفصلة في القرآن الكريم أحكام العبادات ، والزواج ، والطلاق ، والمواريث ، وحل البيع ، وحرمة الربا ، وكتابة الدَّيْن المؤجل ، ومشروعية المضاربة . . . إلخ .

وكما أن هناك أحكامًا ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان ، فهناك أحكام وضعت لها قواعد عامة ومبادئ كلية ، وتركت تفصيلات هذه الأحكام مراعاة للأزمان والبيئات المختلفة وتحقيقا لمصالح الناس ورفع الحرج عنهم ، ومن

أمثلة هذه الأحكام ، أحكام المعاملات ، فعلى المسلمين أن يفصلوا أحكام معاملاتهم بما يلائم بيئاتهم ، وما يتفق ومصالحهم في حدود الأسس التي وضعها القرآن الكريم ، حيث لم يفصل هذه الأحكام ولم يبين أجزاءها ليكونوا في سعة من مسايرة التطورات الاقتصادية والحركات التجارية .

وهذه حقيقة لابد من الوعي بها ، ومطالبة القائمين على وضع مناهج التربية الدينية الإسلامية بتطوير المناهج القائمة وربطها بالواقع المعيش لتتناسب مع متغيرات العصر الحديث ، مع عدم إغفال أساسيات المعرفة الدينية ، وضرورة مراعاة الثوابت فيها .

تاسعا : التحديات التي تواجه التربية الدينية الإسلامية

تواجه التربية الدينية الإسلامية اليوم العديد من التحديات والمخاطر التي تقف عائقا أمام تحقيق التربية الدينية الإسلامية لأهدافها ، ومن هذه التحديات ما يلي :

١- التدخل الغربي في مناهج التعليم الديني للمجتمعات الإسلامية :

لم يسلم التعليم الديني في المجتمع الشرقي الإسلامي منذ سنوات مضت من محاولة التدخل الغربي لمحاولة تطويره عن طريق الحذف والاستبدال وإضافة مواد أخرى غير شرعية لمزاحمة التعليم الديني ، وربما كانت تلك المحاولات في الماضي مستترة ، لكن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ، أعلن الغرب عن مخططاته ، حيث ازدادت الهجمة على التعليم الديني شراسة ووضوحا ، فاعتبرت مناهج السعودية واليمن وباكستان مناهج تفرخ الإرهاب ، وفي دراسة أجراها «محمد الدويش٢٠٠٢م»[1] حاول من

(١) محمد عبد الله الدويش : هل لمناهجنا صلة بالتطرف والإرهاب؟ مجلة البيان ، مجلة إسلامية شهرية تصدر عن المنتدى الإسلامي ، العدد (١٧٣) المحرم ١٤٢٣هـ ، ص ص ٣٠-٣٩ بتصرف .

خلالها حصر نماذج التطرف المزعوم في مناهج التعليم الديني من خلال كتابات الغربيين : يقول الباحث : « حين نعود إلى ما يقوله من يصم المناهج بالإرهاب نرى أن من صور الإرهاب والتحريض عليه ما يأتي :

أ - تكفير غير المسلمين .

ب ـ الجهاد في سبيل الله .

ج ـ الحجاب .

د ـ الثناء على زوجات النبي ﷺ .

هـ ـ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تلعن اليهود .

و ـ الولاء والبراء . فقد ورد في موقع « نيويورك أون لاين » على لسان أحد الغربيين متحدثا عما يدرجه ضمن قائمة الإرهاب : « يركز المتدينون جل اهتمامهم على الأمور الاجتماعية عن طريق توزيع مطويات وكتيبات في صالات التسويق ، وفي إحدى تلك المطويات كتب : « إن قضاء الأجازة في الغرب ذنب . كما انتقد آخر تهنئة غير المسلمين بأعيادهم . ونفس هذه الدروس يتردد صداها في حوالي عشرين صفحة من الكتاب المدرسي المقرر على المرحلة الثانوية تحت موضوع الولاء والبراء . ويقول الكتاب المدرسي : إن تجاهل الطقوس والأعياد الخاصة بالكفار وإظهار العداوة لهم أحد المتطلبات الأساسية لكره الكفار ، ثم ينتهي هذا الجزء بتوصية الشباب السعودي بعدم تقليد الغرب في لباسهم وأكلهم وشربهم » .

ز ـ أحكام الزواج والأسرة : تقول إحدى الكاتبات في النيويورك تايمز : « هل تتصور أن المرأة في السعودية ليس من حقها أن تتزوج على زوجها ، في الوقت الذي يتزوج الزوج على زوجته؟ هل تتصورون أن الرجل في السعودية يطلق امرأته ، بينما المرأة لا تستطيع أن تطلق زوجها؟ هل تتصورون أن الرجل في السعودية يتزوج من كتابية ، ولكن المرأة السعودية لا تستطيع أن تتزوج من كتابي؟ » وتطالب الكاتبة السيدة الأولى

في أمريكا أن تتدخل لدى الدول العربية والإسلامية لإنصاف المرأة كما تدخلت لإنصاف المرأة الأفغانية .

ح ـ بعض أحداث السيرة النبوية : حيث يعدها البعض أمرا يغذي الإرهاب ، يقول الباحث نقلا عن « شبل بدران » في « المؤسسة التعليمية والتطرف » : « وفي مقرر النصوص والبلاغة والأدب طبعة ١٩٩١/٩٠م مليء بقصائد لشعراء المدح ويمجد الشعراء في صدر الإسلام ، وهو شعر مليء بالروح الانفعالية تجاه العقيدة الإسلامية دون سواها من العقائد الأخرى .

٢- العولمة :

لقد أشرت في دراسة سابقة[١] إلى أنه برز في بواكير العقد الأخير من القرن العشرين نظام عالمي جديد ، كان من أبرز معالمه « تحرير الاقتصاديات القومية ، وتركها لقوى السوق العالمية ، والدعوة إلى تقليل القيود والضوابط التي تفرضها الحكومات الوطنية على مسيرة الاقتصاد والتجارة والاستثمار ، على أن يتولى القطاع الخاص في كل مجتمع ، متعاونا مع الشركات التي توصف بأنها « عملاقة » أو متعددة الجنسيات سد الاحتياجات الوطنية في المجتمعات كلها ، ويقترن بهذه التحولات الاقتصادية مزاعم تشير إلى أن الجانب الأكبر في الحياة الاجتماعية سوف يتحدد من خلال عمليات « معولمة » تذوب فيها الخصوصيات الثقافية وتسودها حضارة عالمية ، هي الحضارة الغربية »[٢].

---

(١) محمود عبده أحمد فرج : « العولمة وتحدياتها في برامج إعداد معلم التربية الإسلامية بكليات التربية ومدى وعي الطلاب المعلمين بها » مجلة التربية ، كلية التربية بجامعة الأزهر ، عدد أغسطس ٢٠٠٠م .

(٢) أحمد المهدي عبد الحليم : « منهجية التعامل مع الفكر الغربي المعاصر ، طبيعته ومحدداته وتقويمه ضمن المعايير المناسبة (الذاتية والموضوعية) » ، دورة مناهج البحث التربوي في الدراسات العليا في الفترة من ٢٣/٧/٢٠٠٠إلى٢٧/٧/٢٠٠٠م ، بمركز عبد الله كامل بجامعة الأزهر(القاهرة ، مركز الدراسات المعرفية بالاشتراك مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي ٢٠٠٠م) ص٥ .

وأشرت إلى أنه صاحب هذه التحولات الكبرى تحديات جسيمة في مختلف دول العالم في مجالات متعددة ، وأؤكد في هذه الدراسة أن مما تأثر بهذا الفكر : مجال التربية الأخلاقية ، فلقد فرض الفكر العولمي نفسه على الساحة العربية الإسلامية ، حيث انتشرت العديد من القيم الأخلاقية المصاحبة له ، والتي لم تألفها مجتمعاتنا العربية الإسلامية من قبل ، ومن العجيب أننا وجدنا من يروج لهذا الفكر من المفكرين والكتاب الذين استهوتهم الفكرة ، كما وجدنا من يقفون منه موقف الرفض ، وراح الرافضون له ينددون به في كتاباتهم وندواتهم ، منطلقين من أن هذا الفكر له تأثير كبير على التفكير العقائدي والقيمي لدى الأفراد فهو يدعوهم إلى التخلص من قيود الدين ويظهره بأنه حيلة الضعفاء والمتواكلين ، ويدعو إلى أن تحل القيم المادية محل القيم الروحية ، ولذلك فهو يغري الأفراد بالتطلع إلى المنتجات المحلية والعالمية وذلك من خلال الإعلانات التي تتحول إلى مادة تربوية تشكل وعيهم ومدركاتهم .

يقول « عبد الوهاب المسيري ١٩٩٩م » : إن العولمة التي نعرفها تتمثل في الهامبرجر والكوكاكولا وفي الماكدونالدز وما شابهه . . فالعولمة تفضل السهل على الجميل ، تفضل السهل على الأخلاقي ، تفضل الاستسلام والتكيف على المقاومة ، ونجد مظاهر ذلك في استخدام العاميات الآن مثل استخدام العامية المصرية في الإعلانات بدلا من الفصحى ، وأعتقد أن هذا الأمر بدأ منذ سنتين تقريبا يمثل شكلا من أشكال الاستسلام الذي هو جزء من منظومة العولمة ... كما أن الإعلانات التلفزيونية هي محاولة لبيع السلعة من خلال الجنس ، فمثلا هم يبيعون لنا المبيدات الحشرية من خلال الشقراوات اللاتي يقفزن ويتراقصن دون أن يكون لذلك أي علاقة بالمبيد الحشري ، ولكن أدرك العاملون في

مجال الإعلانات أن هذه هي الخلطة التي لا يمكن هزيمتها ، لأنها الخلطة التي تتواءم وتعبر عن هذا النظام العالمي الجديد وعن العولمة[١] .

ويقول «أحمد عبد الرحمن ١٩٩٩م» تتوسل أمريكا بوسائل عديدة لفرض العولمة بالمفهوم الأمريكي على العالم كله ، والعالم الإسلامي خاصة ، من ذلك دعم القوى العلمانية الداخلية بالمال والحماية ، ومن ذلك الدعم الاقتصادي للنظم العلمانية الحاكمة ، المعادية للإسلام ، والتجويع والحصار لأي نظام يتمرد على الإدارة الأمريكية ، ومن ذلك جهود المستشرقين والكتاب والإعلاميين والفنانين ، ومن ذلك شبكة الاتصالات الدولية (الإنترنت) ، ومن ذلك تقييد الحكومات باتفاقيات كاتفاقية «الجات» واتفاقية «منع الانتشار النووي» ، ومن ذلك إقصاء اللغة العربية ، وإحلال الأزياء الأمريكية محل الأزياء العربية ، ومن ذلك أساليب وتقاليد تقديم الطعام بإنشاء سلسلة من المطاعم الأمريكية ، وإقامة شركات لإنتاج المواد الغذائية الأمريكية وبأسماء إنجليزية ، ومن ذلك لعب الأطفال وهداياهم ، فالطفل يفتح عينيه على كتابات بالإنجليزية على ملابس إخوانه وأخواته ، على صدورهم وظهورهم ، وعلى ملابسه هو نفسه ، وعلى اللعب والهدايا وكل شيء حتى يستقر في ضميره أن هذه هي لغته ، وأن العربية هي اللغة الثانية[٢] .

وعلى الرغم من ذلك إلا أن البعض يرحب بالتعامل مع العولمة انطلاقا من ثقتنا بعقيدتنا وقيمنا وتراثنا ولغتنا أي حضارتنا الإسلامية التي تمثل جماع هذه العناصر ، يقول «الدجاني» : «هذه الظاهرة موجودة فلنتعامل معها ولكن لنثق بقدرتنا على المواجهة ، فعملية محاولة إنهاء الثقافات وتنميط البشر على

(١) عبد الوهاب المسيري : العولمة والشرق أوسطية ، في : محمد إبراهيم مبروك : الإسلام والعولمة (القاهرة ، الدار القومية العربية ١٩٩٩م) ص ص ٨٣-٩٠ بتصرف .

(٢) أحمد عبد الرحمن : العولمة وجهة نظر إسلامية ، في : محمد إبراهيم مبروك ، الإسلام والعولمة ، ص ص ٩١- ١٠٠ بتصرف .

ثقافة غربية واحدة يقينا سيفشل ، قد يندفع البعض من الشباب في مرحلة إلى أكل الهمبورغر مثلا ، لكنه بعد فترة قصيرة يعود إلى روعة الأطباق التي تعودناها هنا وهناك ، وجاءت عبر تجربة عريقة ، هذا على صعيد الطعام ، وعلى صعيد الثياب قد يلبس الجينز أحيانا في فترة قصيرة ، ولكن هل هناك أروع من اللباس النابع من البيئة المنسجم معها ، إذًا علينا أن نثق بأن هويتنا الحضارية ستكون راسخة ، وخصوصا أن الهوية دائما جماع ثلاثة عناصر : العقيدة التي توفر رؤية كونية ، واللسان الذي يجري التعبير به ، والتراث الثقافي الطويل المدى ، بالمنطق الفعال هذا نواجه الظاهرة وكلنا ثقة أن قيم حضارتنا ستنجح في التغلغل داخل دائرة تسيطر عليها العولمة وهي الدائرة الغربية ، لأن في الإنسان نزعة للتطهر ، وهناك قيم في داخل تلك المجتمعات تلتقي مع قيمنا ، ولذا سيحدث تغلب لها على قيم الاستهلاك والتسلية ، وما تأتي به العلمانية التي لا تنظر إلى الإنسان إلا أنه مستهلك مادي ليس إلا »[1].

٣- التطرف والإرهاب :

من التحديات التي تواجه التربية الدينية الإسلامية في الشرق الإسلامي مشكلة « المغالاة والتشدد في فهم الدين » ، والتي اصطلح أفراد المجتمع على تسميتها « بالتطرف الديني والإرهاب » وإن كنا من جانبنا لا نوافق على هذه التسمية ، إذ أن التطرف والغلو لا يكون في الدين ذاته ، بل في أسلوب فهمه من جانب بعض المتدينين .

والتطرف في فهم الدين يعني مجاوزة حد الاعتدال في السلوك الديني فكرا وعملا والخروج عن مسلك سلفنا الصالح في فهم الدين والعمل به، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ (النساء: ١٧١) ، ولعل انتشار هذه الظاهرة في المجتمعات العربية قد يرجع إلى قلة بضاعة الشباب المسلم المغالي من فقه الإسلام وأصوله ، وعدم تعمقهم في

(١) محمد إبراهيم مبروك : الإسلام والعولمة ص ٣١ .

العلوم الإسلامية واللغوية ، الأمر الذي جعلهم يأخذون بعض النصوص دون البعض الآخر ، أو يأخذون بالمتشابهات وينسون المحكمات ، أو يأخذون بالجزئيات ويغفلون القواعد الكلية ، أو يفهمون بعض النصوص فهما سطحيا سريعا .

ويبلغ هذا التطرف غايته حين يستبيح دماء الآخرين وأموالهم ، ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة ، وحين يتهم جمهور الناس بالكفر والخروج من الإسلام ، فعلى سبيل المثال في دولة كمصر « كشف تقرير الحالة الدينية عام ١٩٩٦م ، الصادر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، أن عدد حوادث العنف في مصر في عام ١٩٩٥م بلغت ١٨٢ حادثا أسفرت عن ٣٦٦ قتيلا و١٤٩ مصابا »[١].

وجدير بالذكر أن هناك عددا من الدراسات الميدانية العربية استهدفت تشخيص هذه المشكلة ، وحاولت الكشف عن أسبابها ، ووضع إطار تصوري مقترح لمعالجتها ، فمن هذه الدراسات : دراسة « موسى وبشير ١٩٩١م » التي صنفت العوامل المؤدية لهذه المشكلة لدى الشباب إلى عوامل تشريعية واقتصادية ونفسية واجتماعية وثقافية وإعلامية ، ومن أبرز هذه العوامل[٢]:

أ- عدم البدء في تعديل القوانين الوضعية لتوافق الشريعة الإسلامية .

ب ـ الغلاء والارتفاع الشديد في الأسعار .

ج ـ انتشار البطالة بأنواعها خاصة لدى الشباب .

د ـ عدم الاهتمام بالتربية الإسلامية في المدارس والجامعات .

---

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : تقرير الحالة الدينية في مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٥م ، ص١٩٠ .

(٢) عادل محمد موسى وأحمد بشير : « التطرف الديني لدى الشباب وكيفية مواجهته من منظور الخدمة الاجتماعية » ، حوليات كلية بنات عين شمس ، الجزء الثاني ، ١٩٩١م.

هـ ـ قابلية الشباب للتأثر بالانسياق وراء الآخرين .

و ـ إحساس الشباب بالعزلة عن المجتمع .

ز ـ خروج المرأة للعمل وتقلص دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية .

ح ـ تركيز المؤسسات التعليمية على الناحية التعليمية فقط .

ط ـ اهتزاز النسق القيمي في المجتمع .

ي ـ انتشار الأمراض الاجتماعية كالإدمان والاغتصاب وتشرد الأحداث .

وقد ارتبطت هذه المشكلة في المجتمع العربي الإسلامي لدى فئة من الشباب بالفهم الخاطئ لبعض المفاهيم كتكفير المجتمع المسلم ، والحاكم المسلم ، وتقسيم المجتمع إلى دار حرب ودار سلام ، واستحلال دماء بعض المسلمين ، والمناداة بضرورة الهجرة إلى الصحراء لإقامة مجتمع مسلم ، وقد تزايد خطر هذه الجماعات بمخالفتها أفراد المجتمع في تحديد بداية الصوم ونهايته ، والخروج عنهم في صلاة العيد ، وتحديد مواقيت الصلاة وتحقيقها ، حيث لا يأخذ بعضهم بالمواقيت الحسابية للصلوات الخمس التي تصدر عن مصلحة المساحة المصرية[1] واستخدام القتال بمثابة وسيلة لنشر الدعوة والإصلاح ، ويرون أن ذلك من باب تغيير المنكر باليد ، وجدير بالذكر أن المؤسسين لهذه الجماعات يبثون أفكارهم بين الشباب وصغار السن ممن قَلَّت بضاعتهم من المعرفة بالدين الإسلامي .

ومن المشاكل السياسية ذات الأبعاد الدينية والتي لها علاقة بالتطرف في فهم الدين ، مشكلة الحرية الفكرية وما يرتبط بها من مشكلات كتكفير بعض الفقهاء بسبب إصدارهم لبعض الفتاوى ، واستحلال دماء بعض الكُتَّاب وممارسة

(١) الأزهر الشريف : من فتاوى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ص (القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية (بدون)) ص٩٦-١٣١ .

قتلهم ... وهو أمر مرفوض في شريعة الإسلام ، لأن الحرية الفكرية في الإسلام تعني «اعتناق الفرد ما يشاء من المبادئ والتعبير عنها بأية وسيلة بشرط الحفاظ على حق الغير وعدم الإضرار بالمجتمع»[1] وهي مكفولة لكل الناس في حدود ما تسمح به العقائد الدينية والآداب والقوانين المطبقة في كل دولة ، فالإطار المحدد لهذه الحرية بجميع أنواعها سواء كانت اعتقادية أم فكرية أم دينية أم سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية ، في قول الله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ (البقرة:٢٥٦) ، وقوله : ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس:٩٩) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾ (سبأ:٤٦) .

ولقد زاد من خطورة الأمر مؤخرا خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م التصاق ظاهرة التطرف والإرهاب بكل مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ولقد تم الضغط على الحكومات العربية والإسلامية أن تحارب المتمسكين بدينهم والملتزمين بشريعة الله عز وجل ، وقد نتج عن ذلك أن اختلط الحابل بالنابل كما يقولون ، فلم يعرف المتطرف الإرهابي من المتمسك بدينه الملتزم بشريعة ربه ، كذلك لم يصبح هناك فرق بين من يقوم بأعمال إرهابية ومن يقاوم العدوان ، أي أن المفاهيم اختلطت لدى الجميع ، وخاصة قادة الدول الغربية الذين راحوا يحاربون الإسلام بكل ما يملكون ، فها هي أمريكا الدولة العظمى في العالم « تقدم دعما لباكستان مقداره (١٠٠) مليون دولار لبناء بنك معلومات عن طلاب المدارس القرآنية ، بهدف تأمين معلومات أساسية عن كل طالب ومدرس في هذه المدارس ، ولفرض الرقابة

(١) الأزهر الشريف : بيان للناس ، ٢٢٨/١ ، (مطبعة الأزهر ١٩٨٩م) .

على منشورات هذه المدارس ودور النشر التابعة لها ، ومحاولة إيجاد برامج دراسية جديدة في هذه المدارس لم تكن تدرس سابقا ، وسيفرض على المدرسين الموافقة على الخضوع لدورات تدريبية لمتابعة البرنامج الجديد ، وسيفقد وظيفته من يعارض ذلك ، وفي الجزائر استجابت وزارة التربية لذلك حيث أصدر وزيرها قرارا بحذف التعاليم والأذكار التي تلازم عملية غسل الميت ، وآيات وأحاديث الترغيب والترهيب بعذاب القبر وفقه الجهاد ، كما استبدلت الرسومات والصور التي كانت تظهر الطفل الذي يتوضأ أو يؤدي الصلاة مرتديا العباءة أو القميص الإسلامي بصورة أخرى تظهره بسروال جينز »[1]. ولم تقف هذه الهجمة على باكستان والجزائر بل شملت العديد من الدول الإسلامية كالسعودية واليمن بحجة أن مناهج التعليم الديني بتلك البلاد تعمل على تفريخ الإرهاب .

ونتيجة لتلك الأحداث المشئومة عانت الكثير من الأقليات الإسلامية من مضايقات وانتهاك لحقوقها في التعليم ، حيث فرضت كثير من الحكومات قيودا صارمة على التعليم شعورا منهم بمخاطره ، فقد شددت السلطات الصينية الرقابة على التعليم الإسلامي في إقليم « شينغيانغ » ذي الأغلبية المسلمة ، وتقول السلطات إنها تعمل على إصلاح وتوحيد الفصول الدراسية لتأهيل الأئمة المحليين ، وفي الهند تم هدم مساجد المسلمين ، ومنعهم من إقامة شعائرهم فيها ، وقتلهم بالمئات والألوف ، وفي أمريكا وعقب الأحداث المشئومة تم التعرض لهم من قِبَل اليهود ، وكذلك التعرض لدور عبادتهم ، ولولا التدخل الذي جاء على استحياء من قِبَل السلطات لتعرض المسلمون في أمريكا لكارثة مفجعة .

---

(١) محمد بن عبد الله الدويش ، نقلا عن موقع العصر ، هل لمناهجنا صلة بالتطرف والإرهاب؟ .

تلك هي أحوال المسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، والتربية الدينية الإسلامية يمكنها من خلال مناهجها المتنوعة مواجهة ذلك من خلال إبراز سماحة الإسلام ويسره للآخرين ، والعمل على تكوين إنسان مسلم صالح يقوم بدوره في الحياة ، فاهم لدينه فهما صحيحا دون مغالاة ودون تفريط ، وذلك بتعريف التلاميذ المفاهيم الدينية الإسلامية كالجهاد ، والهجرة ، والكفر ، والإيمان ، ودار الحرب ودار السلام ، وحكم من استحل دماء بعض المسلمين ، وحكم الخارج عن الجماعة ، وتوضيح العلاقة بين المسلم وغير المسلم ، مع تبصيرهم بالعلاقة بين المسلم وغير المسلم ، وسرد نماذج تطبيقية من معاملة النبي ﷺ وصحابته لليهود ، وضرورة إقناع التلاميذ باحترام الآخرين وآرائهم في حدود ما تسمح به شريعة الإسلام .

٤- الغزو الفكري :

يعد الغزو الفكري من التحديات التي تواجه التربية الدينية الإسلامية في المجتمعات العربية ، فالواقع يؤكد أن هجمة العولمة التي تحدثنا عنها لم تكن التحدي الأوحد أمام التربية الدينية الإسلامية في المجتمعات العربية الإسلامية ، إذ أن الإسلام بقيمه وعاداته وتقاليده وأعرافه . . مستهدف منذ زمن بعيد ، حيث حاول أعداؤه التسلل إليه من الخارج ومن الداخل ، مستخدمين في ذلك عدة طرق منها الغزو الفكري الذي تعاظم خطره في ظل العولمة التي بهرت الكثير من أصحاب النفوس الضعيفة ، يقول « أحمد عبيد حسنه »[(١)] : إن مسألة الغزو الفكري لم تعد تفد إلينا أو تهددنا من خارج الحدود فقط ، أي لم تعد غزوا من الخارج ، إنما جرت وتجري محاولات متعددة الوسائل لاستنباتها في تربة العالم الإسلامي ، وتكيفها مع ظروفه ومناخه الثقافي ، إن الأمر اليوم بدأ

(١) محمد عبيد حسنه في مقدمة كتاب الغزو الفكري ، تأليف : أحمد عبد الرحيم السايح، كتاب الأمة ، ص١٠ ، ١١ بتصرف .

يتجاوز ذلك العموم إلى محاولة زراعتها في مؤسسات ومنظمات العمل الإسلامي نفسها ، وذلك باعتماد مجموعة من الممولين وأصحاب النفوذ تتولى الإنفاق وصناعة الكُتَّاب والباحثين ، الذين يوسمون في كثير من الأحيان بالمفكرين الإسلاميين الكبار ، حيث يكبرون ويكبرون ، بالترويج لهم في وسائل الإعلام ، وإتاحة الفرصة أمامهم ، وإلقاء الأضواء عليهم في المؤتمرات والندوات ليؤدوا دورهم المرسوم في هز الثوابت الإسلامية ، وتوهين القيم الإسلامية في نفوس المسلمين ، والنيل من المسالك والأخلاق والتقاليد الإسلامية ، وحتى العقائد الإسلامية الثابتة في الكتاب والسنة . . . ومحاولة عزلها عن حياة الناس واهتماماتهم ، وممارسة هدم الذات الإسلامية ، وجلدها باسم النقد والتنظير والترشيد ، والقيام بمقارنات مع الحضارة الغربية ، وتقديم الغطاء الإسلامي لقيمها ومفاهيمها ، وتحضير القابلات لاستقرارها ، وقبول القيم الغربية في عالم المسلمين ، والتمكين لها على حساب خصائص الحضارة والثقافة الإسلامية ، وثوابتها إلى درجة أصبحت معها قيم وكليات الحضارة الغربية هي معيار القبول والرفض لكل مواريثنا الفكرية والعقدية والثقافية وتقاليدنا الاجتماعية .

هذا ، وإذا كان المهتمون بالمناهج الدراسية يسعون في ظل هذا الواقع إلى تطويرها وتحديثها ، وجعلها مواكبة لروح العصر الذي نعيشه ، ومتمشية مع كل جديد يطرأ عليه ، من أجل تشكيل متعلم قادر على المشاركة والمنافسة والتأثير والإبداع ، عالم بما يدور حوله من أحداث وتطورات وصراعات ومشكلات ، فإن الأمر يستلزم الحذر والاحتراس بالتدقيق والنظر في كل ما يختارون من معارف مع التأكيد على الثوابت والقيم الإسلامية الأصيلة ، التي تجعلنا نحافظ على ثقافتنا العربية الإسلامية بما تشمله من عادات وتقاليد وقيم وأعراف أقرها الإسلام ، أي المحافظة على هويتنا الثقافية العربية الإسلامية ، خاصة وأمتنا العربية الإسلامية تتعرض في هذه الآونة لهجمة شرسة من

أعدائها خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ، والذي تم فيها تصوير الإسلام على أنه دين يولد الإرهاب كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

عاشرا : مشكلات تعليم التربية الدينية الإسلامية بالبلاد الناطقة بغير العربية

تتعدد مشكلات تعليم التربية الدينية الإسلامية بالبلاد الإسلامية وغير الإسلامية الناطقة بغير العربية إلى درجة ملفتة للنظر ، وتدعو الكثير من الدول العربية والهيئات والمنظمات الإسلامية إلى تكثيف الجهود ، وتواصل العطاء ، وزيادة المحاولات الجادة البناءة التي تهدف إلى تنمية وتطوير هذه الفئة من المسلمين ، ومحاولة إثراء العملية التعليمية عندهم من خلال إنشاء المراكز الإسلامية ، ومدارس تعليم الدين الإسلامي والعربية ، وإعداد برامج ومناهج ومقررات وكتب خاصة بهم تتمشى مع بيئاتهم ، وتعالج مشكلاتهم ، كما يمكن تزويدهم بالإمكانيات المادية المتاحة لتطوير العملية التربوية الإسلامية عندهم...

وواقع الأمر أن مشكلات تعليم التربية الدينية الإسلامية تتعدد بتعدد الأقاليم التي يعيش فيها المسلمون ، ولكننا في هذا المقام سنركز على المشكلات العامة والمشتركة بين الأقطار الإسلامية الناطقة بغير العربية ، مستندين في ذلك إلى نتائج بعض الدراسات السابقة التي تمت في مجال تعليم التربية الدينية الإسلامية واللغة العربية للناطقين بغيرها ، وإلى آراء المسئولين عن التعليم ، والمعلمين الذين يقومون بتدريس التربية الدينية الإسلامية بتلك البلاد ، وكذلك استنادا إلى خبرتنا المتواضعة الناتجة من احتكاكنا المتكرر بهذه الفئة من المسلمين أثناء حضور الندوات والدورات التدريبية الخاصة بهم .

ففي دورة تدريبية شارك الباحث في تأطيرها لمعلمي التربية الدينية الإسلامية واللغة العربية أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) ببنجلاديش في الفترة من ٣/٢٠ إلى ٢٠٠١/٣/٣١م ، وجه

الباحث للأفراد المشاركين السؤال التالي : ما المشكلات التي تواجه تعليم التربية الدينية الإسلامية ببلادكم من وجهة نظركم؟ وبعد الإجابة على السؤال تم جمع الإجابات وتحليلها ، وبعد إجراء عملية التحليل تبين لنا أن المشكلات التي ظهرت معظمها يتشابه في البلاد الآسيوية الناطقة بغير العربية ، وفيما يلي عرض لهذه المشكلات :

١- عدم وجود أهداف لتعليم التربية الدينية الإسلامية .

٢- قلة وضعف المعلومات المقدمة في كتاب التربية الدينية الإسلامية .

٣- عدم مسايرة كتب التربية الدينية الإسلامية للمجتمع المعاصر .

٤- سوء ورداءة محتوى كتاب التربية الدينية الإسلامية من حيث الإخراج .

٥- تقديم محتوى كتاب التربية الدينية الإسلامية باللغة المحلية (البنغالية) .

٦- عدم توافر المصادر والمراجع عن التربية الدينية الإسلامية التي من شأنها إثراء معارف التلاميذ .

٧- انعدام اهتمام المسئولين عن التعليم بالتربية الدينية الإسلامية .

٨- عدم توفر الإمكانيات المادية اللازمة لتدريس التربية الدينية الإسلامية .

٩- انعدام رغبة الحكومة في تعليم التربية الدينية الإسلامية باللغة العربية .

١٠- انعدام معايير انتقاء التربية الدينية الإسلامية .

١١- ضعف المستوى العلمي لمعلم التربية الدينية الإسلامية .

١٢- عدم قدرة المعلم على نطق الحرف القرآني .

١٣- انعدام الدورات التدريبية لمعلمي التربية الدينية الإسلامية .

١٤- عدم معرفة المعلم بطرق تدريس التربية الدينية الإسلامية ، والاعتماد على الاجتهادات الفردية .

١٥- سخرية بعض أفراد المجتمع من معلم التربية الدينية الإسلامية .

١٦- انعدام رغبة الطالب في تعلم التربية الدينية الإسلامية باللغة العربية

وهكذا يبدو واقع تعليم التربية الدينية الإسلامية بالبلاد الآسيوية الناطقة بغير العربية واقع متدني ، ونتائجه غير طيبة وغير مرضية ، حيث يتم تعليمها باللغات المحلية كما في بنجلاديش وإندونيسيا ، فالكتب تعد بها ، وكذلك التدريس يتم في حجرات الدراسة بها ، ومما لا شك فيه أن هذا يمثل ـ كما قلنا من قبل ـ حاجزا لغويا بين المسلم وبين قرآنه وتعاليم دينه ، الأمر الذي يجعل كل من المعلم والمتعلم في غربة عن دينهما ، ولاشك أن غربة المعلم عن لغة دينه تجعله لا يستطيع النطق بالحرف القرآني من مخرجه الصحيح عند التلاوة ، لعدم كثرة استعماله للحرف القرآني نطقا وكتابة ، وقد لاحظ الكاتب ذلك بنفسه عند تدريسه لموضوع « كيفية تدريس الحرف القرآني » لفئة من المعلمين بإحدى تلك البلاد ، حيث لاحظ أن المشاركين في الدورة لا يفرقون بين نطق حروف كثيرة في عند التلاوة ، فهم ينطقون الضاد ظاء ، والحاء هاء ، والطاء تاء ، وكذلك ينطقون بعض الحروف المفخمة نطقا مرققا على الرغم من معرفتهم التامة بحروف الترقيق وحروف التفخيم ، وكذلك يتحدثون عن الجمع بصيغة المفرد ، وعن المفرد بصيغة الجمع ، وكذلك يخطئون في استعمال الضمائر . . . .

وإذا كان هذا الحال يتم في البلاد الآسيوية ، فإن الأمر يختلف بعض الشيء في كثير من البلاد الأفريقية مثل موريتانيا والسنغال وبركينافاسو وتشاد والكاميرون وبعض مدارس النيجر ، حيث يفرض على المدارس الحكومية في تلك البلاد إعداد كتب التربية الدينية الإسلامية وتدريسها باللغة الفرنسية ، وهذا ما أشار به المسئولون عن التعليم في تلك البلاد من خلال ورقات العمل التي تم عرضها في « اجتماع خبراء إقليمي لإعداد الكتاب المدرسي العربي الإسلامي الموجه لدول غرب وجنوب الصحراء بأفريقيا » ، والذي تم انعقاده

في الجامعة الإسلامية بالنيجر ، في الفترة من ٣/٥ إلى ٦/٥/١٩٩٩م [١]، ولعل هذا ما دفع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسسكو) أن تكثف مجهوداتها بتلك البلاد ، حيث أقامت العديد من الندوات والدورات التدريبية عن الحرف القرآني واستعماله في إعادة كتابة اللغة العربية ، وصقل الحرف العربي صوتا ، واستخدامه في إنتاج أصوات عربية قد لا تتوافر في لغات أخرى .

(١) نظمت هذا الاجتماع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) بالاشتراك مع الجامعة الإسلامية في النيجر ، وقد شارك الكاتب في هذا الاجتماع ببحث بعنوان «الاتجاهات الحديثة في إعداد الكتاب المدرسي مع تطبيقات تربوية في مجال الكتاب العربي الإسلامي» .

دور مناهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغير العربية إزاء طبيعة التربية الدينية الإسلامية

نخلص مما سبق إلى مجموعة من التطبيقات التربوية التي يمكن لمناهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغير العربية مراعاتها ، ومن هذه التطبيقات :

١- الاهتمام بالجانب الإلهي في مناهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغير العربية من خلال ربط التلاميذ بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ، والعمل على غرسها في نفوسهم عن طريق حثهم على النظر والتأمل وإعمال الفكر في الإنسان والكون .

٢- تعريف التلاميذ بالغاية التي من أجلها خلقوا .

٣- إبراز مكانة التربية الدينية الإسلامية وبيان وظيفتها كمادة تعمل على ربط علاقة التلاميذ الناطقين بغير العربية بخالقهم وبإخوانهم المسلمين وبالكون من حولهم ، فضلا عن أنها تكسبهم معارف وقيما ، وتعمل على تعديل اتجاهاتهم السلوكية .

٤- توعية التلاميذ الناطقين بغير العربية بالمبادئ التي تستند إليها التربية الدينية الإسلامية .

٥- مراعاة مجالات التربية الدينية الإسلامية من القرآن الكريم وتجويده ، وتفسيره ، وعلوم القرآن ، وحديث شريف وعلومه ، وعقيدة إسلامية (التوحيد) بما تشمله من إلهيات ونبوات وسمعيات ، وفقه إسلامي بما يشمله من عبادات ومعاملات ومناكحات وجنايات وحدود وكفارات . .

سيرة نبوية ، وتهذيب وأخلاق إسلامية ، وبحوث إسلامية (النظم والثقافة الإسلامية) ، وأعلام إسلامية (الشخصيات الإسلامية) ــ عند بناء منهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغيرها .

٦- ضرورة مراعاة نوعية المعرفة الإسلامية ومصادرها عند بناء مناهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغيرها .

٧- ضرورة تدعيم مناهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغير العربية بوسائل ومقومات نجاح التربية الإسلامية .

٨- العمل على تحقيق النمو الشامل المتكامل المتوازن جسميا وعقليا واجتماعيا وانفعاليا .

٩- إبراز واقعية التربية الدينية الإسلامية ، وذلك من خلال تعريف الناطقين بغير العربية بالحكمة التشريعية للأحكام الدينية حتى يتبين التلاميذ أن في شرع الله تعالى صلاحا لهم ولمجتمعهم .

١٠- الاهتمام بمبدأ التكامل عند بناء منهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغير العربية حتى تتوافق المناهج مع الطبيعة المتكاملة لمادة التربية الدينية الإسلامية في الأحكام والتشريعات .

١١- الاهتمام بالمفاهيم الأساسية في التربية الدينية الإسلامية عند بناء المناهج مع ربطها بالواقع المعيش حتى تكون وثيقة الصلة به ، ومحققة الثبات والمرونة .

١٢- الاهتمام بمصادر التربية الدينية الإسلامية وربط محتواها بهذه المصادر حتى يدرك الناطق بغير العربية العلاقة بين الأحكام الدينية وبين مصادرها، ومن ثَمَّ تنمو لديهم ملكة استنباط الأحكام من مصادرها الأصيلة .

١٣- ربط مناهج التربية الدينية الإسلامية للناطقين بغير العربية بالواقع المعيش في جميع جوانبه ـ الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية والعلمية . . . ـ حتى تصبح المناهج واقعية تراعي واقع الحياة المعيش .

١٤- الاهتمام بإبراز عالمية الفكر الإسلامي ، وبيان صلاحيته لكل زمان ومكان مهما اختلفت الأجناس والألسن .

١٥- توعية التلاميذ بالتحديات والمشكلات التي تواجه التربية الدينية الإسلامية ، والعوائق التي تعوقها دون تحقيقها لأهدافها المنشودة .

* * *